عندما يحكم الطاغوت

الحلقة الثانية

هوية الكتاب

* اسم الكتاب: عندما يحكم الطاغوت.
* المؤلف: سماحة آية الله العظمى احمد الحسني البغدادي.
* الحلقة الثانية.
* الطبعة الثانية تموز ٢٠٠٨م.
* حقوق الطبع محفوظة للمؤلف.
* لا يجوز نشر هذه الحلقة من هذا الكتاب او اختزال مادته بطريقة الاسترجاع، او نقله، على اي نحو، او اية طريقة سواء اكانت «الكترونية»، ام بالتسجيل، ام خلاف ذلك. الا بموافقة كتابية من المؤلف ومقدماً.
** التوزيع بيسان للنشر والتوزيع والاعلام
ص ب: ٥٢٦١ ـ ١٣ بيروت ـ لبنان
تلفاكس: ٩٦١١٣٥١٢٩١
بريد الكتروني: bisanbok@lynx.com.lb

احمد الحسني البغدادي

عندما
يحكم الطاغوت
الحلقة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم إنا نرغب اليك في دولة كريمة، تعز بها الإسلام وأهله، وتذل بها النفاق وأهله وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك، والقادة إلى سبيلك، وترزقنا بها كرامة الدنيا والاخرة آمين.

رسالتنا

مع انطلاقة الصحوة الاسلامية الجديدة للأمة تزداد الحاجة الضرورية التاريخية الملحة.. إلى كشف حقائق الاطروحة الاسلامية التي تستهدف نسف مخططات الاستكبار الاميركي والكفر العالمي.

وفي حديث سماحة آية الله الفقيه المفكر احمد الحسني البغدادي –بارك الله عمره المديد– نجد الكثير من حقائق هذه الاطروحة.. ولهذا فانا نرى ضرورة نشرها لتسد رافداً مهماً من روافد هذه الحقائق الضائعة في مواجهة الواقع، وعلى مستوى المسؤولية الفكرية الهادفة.

ان المؤامرة الاميركية الاستكبارية، ومن ورائها الصهيونية العالمية.. لم تكن ذات صيغة واحدة، بل لها أساليب متنوعة ومتعددة.. نتيجة تعدد الظروف والاوضاع المحلية والاقليمية والعالمية.. وهم يهدفون من وراء هذا المخطط الرهيب تحريف الاطروحة الاسلامية عن مسارها الصحيح.

هذا.. وفي مطلع عقد التسعينيات، وفي أعقاب حرب الخليج الثانية– عاصفة الصحراء– لتحرير الكويت نرى باللمسة الوجدانية، والمعايشة الميدانية:

شعب العراق بعربه وكرده، وتركمانه.. يجوع، ويقتل برصاص الغدر، والحقد الصدامي.. يتساقط كأوراق الخريف.. وبخاصة ما أصاب انتفاضة شعبان – آذار الاسلامية ربيع عام ١٩٩١ ميلادية من احباط واجهاض بفعل أميركي.. هذا المسار الدكتاتوري الارهابي الذي لا مثيل له في تاريخ دكتاتوريات((سوموزا)) و((بوكاسا)) و((هيلاسي لاسي))!.. يذكرنا بمجازر:((هولاكو)) و((الحجاج الثقفي)) و((بكر صوياشي)).

والجزائر وما يجري فيها من مذابح ومجازر رهيبة.. بسبب المؤامرة الاوروبية والاميركية على الديمقراطية الشرعية الدستورية التي أدت إلى فوز الاسلاميين بالانتخابات البرلمانية مطلع عام ١٩٩١ ميلادية!..

والسودان يضرب في سبيل اضعافه!..

وليبيا تحاصر وتهان بتهمة مساندتها للارهاب الدولي، وضلوعها في تدبير اسقاط طائرة الركاب الاميركية والفرنسية قبل عدة أعوام!..

والمؤسسة العسكرية الصهيونية لا تزال تتحرك– وبخاصة بعد ابرام اتفاقية:((واي بلانتيشن))– في عدوانها الامني، والسياسي، والاعلامي.. على أكثر من صعيد.. فهي في منطقة الاحتلال تواصل العدوان، وتستبيح

الحرمات، وتطلق التهديدات الاعلامية، وتتحرك بالطرق الدبلوماسية في الساحة الاوروبية والاميركية.. حيث تقف مهددةً ومتوعدةً بأن أي ضغط سياسي، أو اقتصادي عليها.. سوف يواجه بضغط آخر، وبلا هوادة!..

والدم الاسلامي في كل أصقاع الارض كل الارض ينزف.. بلا رحمة.. وبلا شرف!..

وجواسيس الحلف الاطلسي يسرحون ويمرحون في عموم الوطن الاسلامي الكبير!..

والشارع الاسلامي والعربي لا يبدي استجابة رسالية، أو حضوراً فاعلاً في الساحة قبال هذه الاخطار والتحديات.. بسبب موجة التقلبات الحادة التي تعصف بواقع الساحة الدولية، وتضاريسها الجغرافية السياسية، وما يرافقها من مستجدات طارئة في هيكلية وجود العديد من أنظمة الحكم في آسيا، وافريقيا، واميركا اللاتينية.

هذه هي المؤامرة الكبرى –ما في ذلك ريب– يشترك في صياغة نظريتها وتنفيذها حكام تل أبيب، وواشنطن زعيمتا الارهاب الدولي والفكري، وجندوا لذلك الانظمة، وحركوا الكثير من الواجهات السياسية والفكرية!!.. ليتخذوا لهم مواقع متقدمة في الواقع السياسي، وليعملوا من خلال هذه المواقع على ضرب الصحوة والثورة والحركة الاسلامية المباركة.

ونسأل الله تعالى أن ينفع الاسلاميين الاحرار قراءة فكر:((السيد البغدادي)) –دام ظله الوارف– وان تكون بداية موفقة على طريق التحدي، وحركة الجهاد في حرب الطاغوت الذي يحكمنا بأسم:((الشرعية الدولية، والقانون الدولي الجديد)).. كاطروحة سياسية بديلة لقيادة العالم!.. والله أكبر وجهاد حتى النصر.

حركة الاسلاميين الاحرار

القيادة المركزية

بغداد

١٤١٩هـ – ١٩٩٩م

المقدمة

الاسلام دين الحياة، وهو رسالة حضارية متقدمة اخذت على عاتقها انشاء مجتمع اممي انساني، وبناء شعب يقود هذا المجتمع، والانسان المعتنق لهذه الرسالة السماوية الخاتمة التي ما بعدها رسالة يختلف اختلافاً كلياً عن أي انسان اخر من بقية المجتمعات البشرية الاخرى الذي همه الحفاظ على ذاته من الازمات والويلات والكوارث، وان يكسب لوجوده المنجزات التاريخية، والاحداث البطولية، وان يستمر من حصانة تفرده وتقدمه من الارض، وان اجتاح العالم((وهذا هو الاخطر)) التعسف والطغيان والتشريد والاستهتار والموت الاحمر.

والمتصفح لاحوال الانسان المسلم يجده حكيماً متزناً متألقاً حضارياً لا يعبث من الارض عبث الارهاب الفكري والدولي، بل يضع الدواء على الجروح.. ويعالج بحكمة واتزان اطوار النفوس والافئدة المتقلبة، واطوار الامم والجماعات، ويضع لها الطب المناسب في الوقت الملائم.. فيعطيها جرعة من السلام والرضوان والطمأنينة إلى جوار الله حين تخشى جوار النعيم المادي المغري، ويعطيها جرعة من الارتباك، والحيطة، والترقب لبأس الله حين تركن إلى قوى الارض الطاغية، وأوضاعها القذرة.

ومن ثم.. كان الانسان المسلم أنبل بديل تأريخي فذ انبعث للجماعات البشرية.. اذن فكونه أنبل إنسان منبثق من دعوته إلى البشرية في كل مكان التي هي سبب انتصاره وانكساره..

سبب انتصاره: عندما يتطلع بوظائفه العليا فيتحرك(حسب مقررات وتوصيات رسالية) لتنفيذ الدعوة الاسلامية العالمية، وتحويلها إلى صيرورة مستمرة صوب الاحسن والارقى في فعالياتها، وفي معطياتها وتوجيهاتها إلى منفعة الإنسان وخيره على حدً سواء.

وسبب انكساره: عندما يتحول دين الإسلام إلى مجرد وصايا على المنابر.. والى مجرد شعائر في المساجد، فإن وصاياه لا تنفذ، ولا تتحقق، وعندما ينحرف عن الخط السوي، ويختار الالتصاق بالظلم، والعمل تحت مظلته، ويقف عن مهام النهوض بواجبه المقدس، ودوره الحقيقي في العالم، ومن خلال ذلك يضيع فلسفته وكيانه وموقفه وقدرته على الوحدة والتماسك والديمومة والبقاء والصيرورة التحررية.

وتوجد تحت مظلة السماء جماعات بشرية تزعم أن لها آيديولوجيا أممية تقدمية إنسانية، بيد أنها تتجاوز حتى على مستوى التنظير حدود العقلانية التكاملية، وتسقط في منحدر سحيق عن أخلاقية البشر، فتقيد

منطلقاتها الايديولوجية في اطار عرق، أودولة مخصوصة.. كما في طرح النظرية الماركسية اللينينية، أوفي إطار وحدة حضارية مخصوصة.. كما هوفي طرح النظرية التونبية.

هذا إلى أن مجتمع أوروبا الغربي والشرقي.. كان في عصر الاستلاب والاستعباد يزعم أنه مجتمع انساني ذواختراع امانة الرجل الابيض، وابتداع المجتمع الاوروبي دعوته هذه تسويغاً لحكم الشعوب المستضعفة في آسيا، وأفريقيا، وأميركا اللاتينية!..

فعبودية، واستلاب، ومجاعة، وغلق أبواب الحضارة والمدنية على من يهيمن عليه من المجتمع.. كل ذلك خلف وجوداً يئن من الظلم والقهر، والفاقة والاستبداد، وجوداً تفككه المشاحنات، والصراعات، والمعارك الظاهرة والخفية الحامية منها والباردة.. أنهكت هذه الشعوب وسواها ولا تزال مساوئها وشرورها بادية وفاعلة في المجتمع البشري عامة..

هذا بعكس آيديولوجيا المجتمع الاسلامي.. فهي نموذج آخر يختلف اختلافاً كلياً عن بقية الايديولوجيات الجاهلية قديماً وحديثاً.. نموذج أوحدي للسعادة الاجتماعية الانسانية الرحيبة النابعة عن قيم الحق، والعدل، والعطاء، والانعتاق.. لم يستطع اي مجتمع من المجتمعات في العالم أن يصوغ نموذجاً كنموذجها ذلك لأن آيديولوجيا المجتمع الاسلامي تحمل عطاءاً وافراً إلى المجتمعات البشرية كافة.. هي شريعة الإسلام الكونية الاخيرة التي صاغها خالق الكون الكبير..

وقد تبنت أمة القرآن في فجر الإسلام الأول((فجر الايمان والالتزام والابداع)) الرسالة، وحملتها إلى الشعوب والامم التي ذابت فيها المثل والتعاليم، وطغت فيها الاهواء والشبهات، وماتت فيها المواهب والطاقات، فهي توصف بالحياة، كما يوصف الطغاة بالحياة.. كلاب الصيد التي تلهث بين أيديهم، أوأبقار الحرث التي تعمل في حقولهم.. أما الشعوب من المنظور الانساني الحضاري فأموات، فلا بد أن تصدر عليها محكمة الطغاة الحكم بالاعدام!!..

وقدموا بالتجربة العملية، وبالانقلاب المطلق الذي تم في قلوبهم، ومشاعرهم، وحياتهم.. حركة واقعية عالمية، وطرحوا رسالة فريدة تقدمية حضارية مستقلة المنطلقات، ترفض اليأس، والحزن، والهوان، وتخرج من التيه المظلم والحيرة القاتمة.. إلى المعرفة، والطمأنينة، والاستقرار.. وتخرج من الدينونة المهينة لشتى الطواغيت.. إلى الدينونة الكريمة العزيزة لرب العالمين.

انها منطلقة من المسار المستقيم الذي يحقق لها المثل الكبرى لاول مرة في أقدار العالم كله –يومذاك– وفي خط سير التاريخ إلى ان يرث الله الارض ومن عليها.

والشريعة الاسلامية خليق بها أن تنهض بمهام دعوتها الاممية في هذه الازمة الحاضرة.. وحدها كفيلة بإنقاذ الجماعة البشرية المعاصرة من محنتها التي تقود مصيرها القيادات الجاهلية الطاغية الباغية إلى منحدر الضياع والفوضى، والبوار.

فكم.. من عبقريات تدفن، ومواهب تموت، وذكاء يخبو، ودماء مهدورة، وكرامات مستباحة، ومنكرات معلنة، وفقر أسود كفور تحت مظلة الطواغيت.. وبخاصة إذا كانت هذه النفوس قد عرفت أبعاد العقيدة، والايمان، والانعتاق.. وجاهدت دائماً لانتزاع هذا السلطان المغتصب من أيدي الطواغيت، ورده إلى صاحبه الشرعي الله سبحانه وتعالى.

وكم.. من جهال وحمقى طغاة يسودون ويقودون، وأغبياء وسفهاء يتحكمون، وتتحطم في طريقهم العوائق والمطبات، وتصفق لهم الجماهير الساحقة، وتصاغ لهم الامجاد الخالدة، وتصفولهم الحياة الكريمة!!..

وكم.. حفل الناس بتجمع جماهيري حاشد، بمن يشكون الزمان، ويتبرمون بالاوضاع الجاهلية، ويسخطون على مجرى الاحداث ثم طال عليهم الامد، فبهتت صورتهم، وعادت شكلاً لا روح فيها..

اذن.. الشريعة الاسلامية خليقة بصنع تاريخها، ومستقبلها، ومصيرها.. وبناء القدرة الذاتية المنشودة من جديد.. وإحلال توازن القوى في وجودها الذي مزقته المذاهب الوضيعة الطاغوتية الشاجبة لحاكمية الله في الارض، وتقرير ألوهيته.. وهي خليقة بأنقاذها من كافة عبودياتها، التي أكلها الفقر، والظلم، والاحتكار، والاستئثار.. بما في هذه الاطروحة من ثورة تقدمية جذرية شاملة..

بيد ان المسلمين غير خليقين بنشر دعوة شريعة القرآن إلى قارات العالم الحاضرة.. كما نشروها إلى قارات العالم السابقة.. كتجربة معقدة متشابكة، وإنسانية حضارية رائعة مشرقة، تمد فعلها إلى مساحات التحرك البشري الفاعل، وتتوغل اطروحاتها إلى كافة مكونات الإنسان.. روحاً، وجسداً.. وعقلاً، وتنظيراً.. وعاطفةً، ووجداناً... والى كل فعاليات الجماعات البشرية في ارتباطاتها الداخلية منها والخارجية.

ان الناهض بنشر دعوة حركية واقعية انسانية حضارية.. المفروض أن يعايشها، وأوتار القلب بين الشريان والوريد تعزف لحن الايمان، والانبعاث، والوفاء، والعودة، والتوجه المسؤول صوب خالق الحياة، وتأدية مسؤولية الخلافة بوعي، وأمانة، وصبر، وتضحية، وشجاعة، واخلاص من جديد.. والمفروض أن يعايشها، ولا يخفي منها شيئاً، ولا يؤجل منها شيئاً.. مهما كانت المعارضة والتحدي.. ومهما كان الاعراض من قوى الثورة الجاهلية المضادة.. ومهما كانت وعورة الطريق وأخطارها كذلك.

وعلى هذا الأساس.. تبنى الرساليون الثوريون في العصر الأول حركة الدعوة بهذه العقيدة، كما أرادها الله

سبحانه، ونشروها ما استطاعت قدراتهم وطاقاتهم الخلاقة العاطفية منها والتنظيرية، وباتوا لا يتخلون عنها، ولوظنوا ان النصر لا يجيئهم في هذه الحياة، بل باتوا خليقين بنشرها.. يدركون كيف يدعون الناس؟.. وكيف يوقظون القلوب الغافية؟.. وكيف يحيون الأرواح الخامدة؟..

ان رسالة آيديولوجيا قوى الثورة الجاهلية الطاغوتية المضادة قد غسلت دماغ(براين رشنج) الإنسان المسلم المعاصر، وعملت على تنحيته تماماً عن عقائدية هذا الدين القويم، وعن مراكز التوجيه الأعلى للانسان.. إلى مسار في الحياة الخاصة لا يتفق مع هذا الدين بحال.. قلبت منهج الدين في فكره، وروحه، وسلوكه.. إلى شعور فردي مجرد مبتور العلاقة بفعاليات الحياة اليومية المباشرة لا يصوغها ولا يقوم ما انحرف عنها.

وقد وقع كل ذلك.. ووقع ما هوأخطر منه وأقذى.. وهومصيره الفاجع السائد الذي يملأ شراينه بالتعاسة، والشقاء، والكرب، والحرج، والضيق(والدنيا الان تزداد تجبراً، وطغياناً، واصراراً، وجحوداً بقوة جارفة إلى غير غاية) وهوغير خليق بحمل مسؤولية حركة الشريعة الاسلامية إلى الجماعة البشرية الضالة المضطهدة، وان عليه لكي يكون انساناً رسالياً نبيلاً ينبعث للعالم بوصفه خليفة الله حقاً على كل المستويات أن يحقق مباديء شريعة الإسلام الكونية في نفسه، وتركيبة سلوكه، ومجالات نشاطه، ومكونات شخصيته، وانفعالاته، واستجاباته، وأحواله، وأسراره، ونظرته العميقة في ملكوت السماوات والارضين، ودراسته التأملية لنواميس الله، وقوانينه، وخفاياه، وجوانب النشاط الواقعي فيها، ومجالات الارتباط، والاحتكاك المتجدد، وتنظيم هذه الحاجات.

ومن هنا.. يملك قوة الاعصاب المشدودة والمتحفزة المرهفة كالجسد المتوتر المستعد للرد أوالمتحفز للانقضاض، ويملك الارادة المركزية الديناميكية لتطوير الحياة على الارض، ويظل موكبه يندفع بها، ويشق طريقه، ويكتسح إلى أن تقوم رسالة الإمام المنتظر –عليه السلام– المرتقبة على حمل الدعوة الاسلامية وانجازها على الارض كل الارض على أحسن ما يرام.

ومن هنا.. يكون أنبل إنسان أنبعث للعالم يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، يعبد الله الواحد القهار دون أي شريك، ويطبق شريعته الكونية تطبيقاً رسالياً متطوراً ناجحاً في هذه الافاق كلها.. على مستوى انساني نظيف.. لا يقتصر على طبقة، وطائفة مخصوصة من البشر بدافع الحقد والكراهية، وانما يبذل البركة، والرحمة، والشفقة للبشرية كلها.. حتى أولئك الذين يرفضون هذا الدين.. وحتى اؤلئك الذين كانوا يحاربونه بشراسة من الاشتراكيين والرأسماليين البراغماتيين.

ومن هنا.. حرى بالحركة الاسلامية المباركة أن تستقطب ملايين المسلمين إلى تطبيق شريعة الله الكونية، وتكشف لها أوراق واقعها المؤلم، وعوامل استعمارها واستلابها، وهزيمتها منذ ثمانين سنة، وتحول الموج إلى اتجاهه الطبيعي الهادف، وتحفظ سبيل الانبعاث، والايمان، والتقوى، والعمل الصالح، والثورة، والكفاح

السياسي والمسلح الذي يمكنهم من عملية المجابهة العقائدية هذه.. وهم مطمئنون إلى صلابة الارضية التي يتحركون عليها، وان تحشد القوى والاحزاب والمنظمات والحركات المخلصة لله ولرسوله في جبهة تقدمية ثورية اسلامية موحدة.. تستميت في المحافظة على ما بقى، واسترجاع ما ضاع، وتركز ثقلها الستراتيجي على مصدر الخطر الطاغوتي الكبير.. وهو: قوى الثورة الجاهلية المضادة بشقيها الخبيثين الداخلي من الشرق الشيوعي، والخارجي من الغرب الرأسمالي على حد سواء..

كتبنا لك هذا.. اهتماماً بأمر الأمة.. وتنبيهاً على غفلتها.. نسأله تعالى سعادة الدنيا ونعيم الاخرة.. بجاه محمد(ص).. والله أكبر.. وجهاد حتى النصر.

احمد الحسني البغدادي

النجف الاشرف

١٤١١هـ

أزمات خطيرة

لا يمكن استكشاف طبيعة الازمات، ووضع الحلول العملية التي نقدمها لمعالجتها.. وبالنتيجة لا نصل إلى هدف جلي ذي أبعاد موضوعية وعلمية إذا حاولنا الوقوف تجاه المظاهر الشكلية المجسمة دون أن نقفز إلى نقلة نوعية، لأن ذلك لن يمهد لنا الوقوف تجاه حقيقة الازمات.. وبالتالي لا يمكن أن يقفز بنا قفزةً واحدةً فاصلة نحو الحلول العقلانية الواقعية لتنير الدرب لنا نحو مستقبل قوي زاهر عظيم.

ومن هنا نبدأ

طالما تواجه الإنسان المعاصر أزمات خطيرة متشعبة معقدة في الطبيعة، وفي الحياة، وفي المجتمع.. وليس الاصل في كونه يعاني من هول هذه الازمات الشائكة الشاغلة المعقدة، فأن تجربة الحياة العامة ذات المعطيات الحركية الحيوية المتطورة الفاعلة ملازمة لأعمق الازمات والمضاعفات الخطيرة، بل الاصل في تحديد موقف الإنسان المسلم المعاصر من أزمات مسيرته الحياتية، وفي تحديد موقفه من الحلول الاولية المقترحة لها، وفيما يخلفه في موقفه منها، ومن حلولها.. من وحشة سايكولوجية، أوتأزم فاعلية ذات نتائج ومصائر مزعجة ووخيمة تشل طاقاته المكنونة، وقدرته المخزونة.. على الكدح في روافد الحياة المختلفة.

ان انفتاح الإنسان المسلم المعاصر بلا حدود.. على حضارة أوروبا الاستكبارية في كل مرفق من مرافق نهضتها الاخيرة في العصر الحديث.. وهو يمر في مرحلة من أخطر المراحل المأساوية الطاغوتية في تاريخه الطويل، وكأن المنحنيات، والمفارقات، والانحرافات التي وقع الإنسان المسلم بها في المرحلة التاريخية السالفة(منذ أن رقدت في تراب الاضمحلال قرون طويلة) قد تراكمت، وتلاقحت، ونمت، وتركزت لتلد نتاجها المتوحش، وتعطي نتيجتها السلبية المرة العاتية في غمرة هذه المرحلة الاخيرة من حركة تاريخ الإنسان التي انفتح فيها على عصر النهضة الاوروبية المعاصرة، وفيما أعقب هذه الانفتاحة من مزالق الاقتحام، ومفاجآت المجهول، وكانت أشواطها كلها كأنها خطوب مريرة موجعة يبتدئ بها السالك طريقه، ويتوسطه قبل أن يعلم انه ضلَ الطريق.. ثم يقف بين العناد والهروب، ويصر على الهروب، لانه لا يستطيع الصمود والتصدي، ولا يستطيع الاستسلام والخضوع، بل يبقى في حالة الهروب من نفسه الخاوية، وروحه الموحشة.. كالذي تطارده الجنَة والاشباح!!..

وعلى هذا الأساس.. كان الرضا والهروب النفسي في داخله، يمثل المظهر الحي لتلاشي الادارة في شخصيته.. وبالنتيجة يقف من مجالات الحياة، ومنعطفاتها الكبرى، ومفاجئاتها العظمى.. موقفاً معادياً

متشنجاً، وبذلك لم يعتز هو ذلك الإنسان الذي حمل مشعل الحضارة الانسانية زمناً طويلاً، يوجد قافلة الحياة بنجاحها وسقوطها، ويصوغ حركة التاريخ البطولية، ويتحكم بالاحداث.. كيف يشاء، ومتى يشاء؟.. ويرغب وفق الاسس والمباديء والتصورات الالهية، وانما بات انساناً متشائماً متقاعساً متداعياً لا يجاري الطبيعة في مرونتها وصعوبتها، وفي صعودها وهبوطها، بل ينظر إلى المواقف الايجابية الحيوية الفاعلة في الحياة الاجتماعية بلهاث في الارتباك والاضطراب، والحيرة القاتلة التي لا طمأنينة فيها، ولا سلام، وتخيل انه يحل ظروف أزماته المعقدة والمتشابكة بالهروب منها.. بدلاً من مواجهتها والتحدي والصمود أمامها.. لكي يعيش سعيداً طليقاً مرفهاً على اساس قاعدة فكرية متينة، تحفظ له سلامته، وتهييء له استقراره، وتسير به في طريق واضح مستقيم، يستجيب لمصالح قوى الشعب العاملة، وتنعش أوضاعها ضمن اطار برنامج استراتيجي طموح، ووفق تخطيط علمي عقلاني وموضوعي مدروس بدقة وشمولية.

وبعكس ذلك يغدو مصيره حينما يعاكس سير الطبيعة، والحياة الجادة، ويتخاذل عن المباديء والاسس، ويصر على هذه المعاكسة، فتضيع عليه مسار الطريق المستقيم، ويضيق عليه رحب الكون.. فيهلك في نزعته التبريرية، أويخرج منها ضائعاً تائهاً بائساً في خضم الحياة الفسيح.

ومن هنا... إذا حاولنا تفسيراً جدلياً علمياً لهذا السقوط، والهبوط.. والتحلل، والانهيار.. والتأخر، والاضطراب.. لم نلاحظ تفسيراً خلا إنحسار مفهوم شريعة القرآن عن نفسية الجماعة المسلمة، وعدم معايشته من خلال الممارسة التطبيقية على الصعد الاجتماعية.. بسبب الغزو المغولي والتتاري من الشرق، والاوروبي من الشمال والغرب، وقبل ذلك السلطات الجاهلية الرجعية الطاغوتية التي أُلقيت مسؤولية كل الامة المسلمة بأيديهم، ومارست الدكتاتورية الفاشية، وافتعلت الفتن والحروب الطائفية والعرقية، وأغلقت الانفتاحة الاجتهادية الواجبة، واكتفت من عقائدية الشريعة بالشكليات والالقاب الفارغة، واساءت استخدام التفسيرات الدينية بما يدعم مصالحهم السلطوية الطاغوتية.. بسبب الافكار المرجئية المأجورة، والتصوفية اللامسؤولة.

وحينئذ تحولت شريعة القرآن العظيمة في ضمير الإنسان المسلم المعاصر إلى مسألة استاتيكية (سكونية)، وتمعن في أعماق النفس، وتفكر فيها، ولا تتصرف بناءاً على ذلك.. فمعنى ذلك أنه بدأ يقعد، ولا يحيا واقعه في مسار جديد، قد يتحول به إلى تغيير ثوري لمظاهره، وتجديد متحرك لمنطلقاته، بل لا يفكر في أمر المستقبل، ولا يدبر له، وأن يعيش يوماً بيوم، ولحظة بلحظة، ولا يصل ماضي حياته بحاضره وقابله، وأخطر من ذلك أن يقعد.. ويقعد ينتظر الحدث الذي لا بد أن يحدث في قدرية غريبة ؛ لأنه لا يريد أن يتعب نفسه، ولا يحملها مسؤولية العمل الحركي ومشاقه، ويغدو غيره هوالعنصر الفاعل، يأخذ زمام المبادرة الحركية الدائبة من أجل تطوير الحياة وترقيتها، بدل أن يكون هو القوة المحركة يدفع التاريخ إلى أمام، ويمده بالثقة والقوة والطمأنينة والعزيمة، ويمنحه شباباً متجدداً متطوراً حركياً فاعلاً في تغيير العالم كله، وبخاصة البلدان النامية في

آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية.

واذا انعزل الإنسان المسلم المعاصر(بسبب هذه الاوضاع الطاغوتية، والاعتبارات الشائنة الفاسدة المرعبة الفريدة في بابها) عن أن يتفاعل مع شريعة القرآن.. انعزلت هذه الشريعة الخاتمة عن ان تمارس دورها الطليعي في مسيرة حياته الاجتماعية.

وقد انعكست هذه الفجوة العميقة بين الإنسان المسلم، وبين الشريعة الخاتمة على واقعية الحياة العامة في صورة تأخر اجتماعي وسياسي مخيف.

فالموقف المضاد من الحياة، والهروب من تحدياتها، والغياب الفعلي عن مسرح الاحداث الكبرى.. قعدت بهذا الإنسان عن ان يفجر طاقاته، ويعبر عن قدراته، ويطور حياته العامة على اساس البنى الفوقية المتحركة في جميع صورها المادية والمعنوية.. فجمد عن النموفي المجالات الحضارية المختلفة حين حجبت شريعة القرآن عن صناعة الحياة الاجتماعية الرسالية التكاملية عبر قنواتها المتنوعة.

تلك هي العلة والازمة المستعصية الشاذة الخطيرة الاولى، التي سببت له العزلة والاندثار، ووقع كله في دائرة التخلف والانحطاط، والعجز من مواجهة التحديات الحضارية.

هذه هي الظروف السايكولوجية (النفسية) والحياتية، التي انفتح بها الإنسان المسلم على عصر النهضة الاوروبية المعاصرة.. نهضة مدنية سالبة رجعية اجرامية كافرة استكبارية.. ذات رغبة عارمة في الاستلاب والاغتصاب، وفي أوج هيمنتها واندفاعها إلى الدرج الصاعد، وانسان في أبعد حالات انحطاطه وتداعيه المادي والمعنوي.

وقد أيقظه اتصاله غير المنتظر بعصر النهضة العقلانية، وتقدم العلم، والحركة التصنيعية الحديثة الخلابة على معاناته المفعمة بالمخاطرات التي كان يتغاضى عنها، ويهرب منها، وكون له معاناة إضافية تؤدي إلى أمراض نفسية، وأزمات حياتية تستعصي وتنتشر على مدى الايام، لابد من وضع الحلول لمعضلاتها..

من هنا.. نشأت أزماته ومعاناته وسط ظروف متناهية في صعوباتها وأخطارها.

ومن هنا.. لقد فرضت النهضة الحديثة المهيمنة على الإنسان المسلم حلولها لأزماته وإمكاناته على أن يتعبد بهذه الحلول، وان يحققها عملياً، وان يستجيب معها لوجهة النظر التي صنعتها في خضوع واستسلام للأمر الواقع.

ولسنا في ضرورة ملحة إلى تحقيق المسألة على هذه النهضة الجديدة التي لم تستوح في حلولها مصلحة

الإنسان الستراتيجية، وانما استوحت مصلحتها وطموحها على المستوى العلمي البرغماتي في تفوق هذا الرجل، وذلك المجتمع.. ومن مصلحتها وطموحها ان تحبط في هذا الإنسان المسلم الحياة الاسلامية الطليقة الكريمة بما فيها من يسر ومرونة، وتكامل، وسعة.. وجمال، ونظام.. وانفتاحة روحية حضارية منشودة.. ومن مصلحتها وطموحها أن تجعله من وجهة نظر شيوعية إلى عنصر مسير ينتج منها ما لا يرغب، ويأخذ منها ما لا يشتهي.. أومن وجهة نظر رأسمالية إلى عنصر غير مسير ينتج منها متى يرغب، ويقبل منها متى يشاء.

وقد استجاب الإنسان المسلم المعاصر لكل طرح من الكذب، والغش، والتجسس، والخيانة، والتهرب، والجبن، والجزع، والاستلاب، والجشع، والاثرة.. بخضوع وذلة يصلان حد الاستسلام الكامل لهذه القوى الطاغية الغازية، وهولا يعرف ما يكون، ولا يدري ما يخبأ له من وراء الابواب المغلقة.

اذن.. ماذا يصنع إنسان وأزمة الواقع الداخلي لشخصيته، التي انبثقت من خلال الاطار الشخصي، الذي اكتسبه من نشأته تحت مظلة هذه النهضة الجديدة وظروفها.. الامر الذي جعل واقعه الداخلي متكالباً على الموقف المصلحي، والتبرير البرغماتي، وجعل واقعه الخارجي مبنياً على الرجوع والسكون.. أو التفكك، والانهيار.

بيد انه اسلامي يدين بالشريعة القرآنية.. والشريعة التي تعاكس الشيء القليل أو الكثير من الوضعية النسبية المحدودة السطحية الحائرة القلقة التي فرضت فرضاً، والتي تعاكس أبداً وجهة النظر التي صنعت هذه الحلول.. الا ان الشريعة القرآنية التي يدين بها هذا الإنسان شريعة ذائبة في منحدر سحيق، كما يذوب الثلج في قيظ الشمس المحرقة بسرعة وقوة مذهلة..

ومن هنا.. فهولا يدرك طاقة شريعته التكاملية.. على أن تحل المعضلات المعقدة، والرواسب المتخلفة، التي توجب المتاعب والمصاعب البتة، ولا يدرك طاقة شريعته الشمولية على أن ترفد الحياة البشرية كلها بالحركة والديمومة والنمو والرفعة، وان تدفعها بعد جمود، وتأخر.. وتشحنها بعد خمود، وتدهور.. وسبب ذلك واضح كل الوضوح:

ان شريعة القرآن لا تزال في وجدان المسلم المعاصر.. شريعة مرجئية، أوباطنية ميثولوجية (خرافية)، أو تصوفية انعزالية.. فان قوى الثورة الجاهلية المضادة، ومن ورائها قوى الاستكبار والكفر العالمي.. لم تصحح الاطروحة الخاطئة عن الشريعة، وانما زادتها تضليلاً، وجحوداً، وانكاراً.. بشتى الاساليب الجهنمية الخبيثة.. لشعورها ان الشريعة خصمها العنيد، وان في الشريعة العادلة احتضارها وطردها عن كل بقعة من بقاع الارض الاسلامية، وعن هذه التجمعات من فصائل المجتمع الرسالي الحضاري.

ان الإنسان المسلم يدين بالقيم والتصورات والتعاليم الكبرى.. وحده لا يكفي للوصول اليها، وانما لابد أن تصنع الحياة البشرية في اطار المبادئ والاسس، والحسابات الكفيلة بأن تخلق من القيم والتصورات والتعاليم واقعاً في كل الشرائح الاجتماعية.

ان المبادئ والاسس هي همزة الوصل بين الإنسان، وهذه القيم، والتصورات، والتعاليم.. والانسان المسلم فاقد لخصوصية الانتماء الايماني والاخلاقي العملي بهذه الاسس والمبادئ، لانه لا يحسها بداهةً، ولا يكتشف منطلقها الانقلابي، ولا يدرك طاقتها الفاعلة على أن تدفعه صوب حياة حرة رسالية كريمة طليقة من قيود الاستغلال والقهر والتخلف في صورها المادية والمعنوية، بل هو أشبه بالغيوم الكثيفة حول شمس العقيدة والايمان يميت شعاعها، ويرد نهارها ظلاماً دامساً طويلاً.

حري بنا أن نؤكد على أمر في غاية الخطورة.. وهو: ان عدم محاولة تحقيق الشريعة الاسلامية عملياً.. قبل أن تتحكم قوى الاستكبار والكفر العالمي المضاد في مساحات شاسعة من الوطن الاسلامي الكبير.. كانت ناشئة عن السذاجة، أوعن النسيان.. وعن انعدام وعي الشريعة الاسلامية وتكاملها على الصعيد العام.

الا اننا نرى اليوم بأم أعيننا ان قوى الثورة الجاهلية المضادة تبذل قصارى ثقلها الستراتيجي في سبيل تكهرب الاجواء العريضة في شجب الشريعة الاسلامية من لدن الجماهير المسلمة الساحقة.. نتيجة التحرك الصليبي الاستكباري المقصود..

على ضوء هذا.. باتت الجماهير المسلمة الساحقة في قلب الازمة.. لأن حياتها تحت مظلة هذا الواقع.. عادت الازمة في ذاتها.. فهي ممزقة بين واقع لا تدين به، وبين قيم وتصورات وتعاليم ومبادئ تعشقها وتدين بها.. كحقيقة وجدانية روحية لا يمكن بأي حال من الاحوال تتجرد عنها، أوتتجاوزها إلى غيرها من القوانين الوضيعة أياً كان مذهبها، بيد أنها لا تمتلك أداة تطبيقها في مؤسساتها الاجتماعية.

بسبب غياب فصائل القوى الاسلامية العاملة.. وبسبب انتهاء مسألة الحياة الاسلامية الكريمة إلى هذه الصور الباهتة حتى في حس أشد المتحمسين لهذا الدين.. وبسبب الواقع الجاهلي الطاغوتي، وتمسكه بسيادته، وحرصه على مصالحه، واستغلال سلطته.. يشجب الصليبيون الجدد هذه القيم والتصورات والتعاليم ويعارضها، ويخطط على إجهاضها بشماس أطول ووقت مستطاع.. وحتى حين تريد هذه القيم والتصورات والتعاليم والموازين أن تعيش في عزلة عن الواقع الجاهلي الطاغوتي مستسلمة لفتح الله وقضائه.. فأن الواقع الجاهلي الطاغوتي لا يقبل منها هذا الموقف، بل ينازلها ويتابعها ويطاردها.. وهذا هو الابتلاء والامتحان العسير.

والعامل الستراتيجي هو الموقف النفساني المتشنج، الذي يجعل الإنسان على قلبه وحشة، وفي فكره قلق وحيرة، وازدواج شخصية، وويلات وخطوب.. ينقلب بكل منعطفه وقوته على واقعية المؤسسات الاسلامية.

ونلاحظ بالتجربة العملية مسلم اليوم.. بسبب قيمه وتصوراته وتعاليمه وموازينه يجاهد الطروحات الفكرية الغريبة الوافدة من الشرق أو الغرب التي تحاول فرضها بأي شكل من الاشكال.. بيد انه بسبب عدم إنتمائه العقائدي العملي الصلد لشريعة القرآن الكونية الاخيرة.. وبسبب تخليه عن أداء دوره الفاعل في العالم، وتراجعه صوب المواقع الدفاعية في الخطوط الخلفية.. لا يستطيع انشاء طموحات واطروحات فكرية قادرة على طرحها للتطبيق العملي على الساحة الاسلامية على شكل برنامج وأطر أممية متشابهة في التنسيق والتوجيه، تحاول التصدي للزوبعة الصليبية الاستكبارية الشرسة.

ومن خلال هذا المنظار.. نكتشف حقيقة واقعة: ان الإنسان المسلم يبدأ الشعور بـ((الازمة)) تحت مظلة الواقع الذي لا تمده أسس روحية مبدئية، بيد ان اتصاله بهذا الواقع يكثر من رؤية شاخصة على منظر لا يعجبه.. منظر التمزق الكبير، وتضخم الاضطراب، وتصاعد العنف، وشيوع الاجرام، وانحدار الاخلاق.. بلا انقطاع خارج سياج حلقة وطنه(وهي مع ذلك راقية في مجتمعها، متحضرة في حياتها، يجد الفرد فيها من الرعاية والحماية ما يناسب قيمة الإنسان، ويجدها غنية قوية.. وهي مشاقة لله سبحانه، ولا تقيم شريعته) وهذه الرؤية تنقلب بلا ريب في أعماق ذاته في شكل وعي ديماغوجي لسبب التداعي والانحطاط في الوطن الاسلامي، يرجعه لهذه القيم والتصورات، والتعاليم، والمبادئ التي تتشبث، أو تنقلب هذه الرؤية إلى فتنة أشد وأقسى في أعماق ذاته في شكل ارتباك مستمر، وحيرة وتردد قاتل في صحة تشبثه بهذه القيم، والتصورات، والتعاليم، والمبادئ.

أما علة هذا الوعي الديماغوجي، وهذا الارتباك والتردد.. فهو الافيون الايديولوجي المتصاعد، الذي ما فتيء يغمر الإنسان المسلم في أعماق نفسيته ومشاعره منذ ان احتل الاستكبار الصليبي، والطاغوت الصهيوني الوطن الاسلامي الاعز، وأوحى اليه قبل كل شيء بالدس والتشكيك، ونشر الشبهات، وتدبير المناورات.. يعمد أولاً إلى عقيدته الايمانية، التي انبثق كيانه منها، ومنها قام وجوده، فيعمل فيها معاول الهدم والتوهين، وذلك انه يدرك ان هذا الإنسان المسلم لا يؤتى الا من هذا المدخل، بأن شريعة الإسلام الكونية هي سبب جهالته وتأخره وتداعيه حاضراً ومستقبلاً.. كنوع من التغطية والتعويض والاسقاط التي يحدثنا عنها علم النفس، وهو يحلل التجارب البشرية المريضة الشاذة لا الصحيحة المستقيمة.

وهنا بيت القصيد يحجبه عن إدراك العلة الستراتيجية لتخلفه وجهالته وتداعيه، وهو فقدانه لأصالة هوية الانتماء العملي الحقيقي الواقعي بشريعة القرآن الازلية، والقادرة على انقاذه من محنته التي هو فيها.. وهنا

ينحرف بعض من أصابته الوحشة النفسية القاتمة، واجهاضه إلى أبعد حد من الظاهرة البديهية، وهنا كذلك يحيا الالام والويلات والحيرة والقلق والاحساس بالعبث والملل واللا جدوى في شكل آخر.

وهنا تظل الجماهير المسلمة الساحقة معرضة دائماً للاحتواء، والتحجيم، والاختراق.. حتى لا تتجاوز حدودها على مجابهة الصعاب والاخطار.. وحتى لا تدعو إلى السعي الجاد السريع لتدارك ما جرى عليها من مساويء وشرور، ومن معاول الهدم والتوهين.

ومن هنا تظهر صعوبة فهم هذه الشريعة القرآنية من لدن هذه الجماهير الساحقة في محتوى نظري.. مما فيها من تجسيد عملي في جميع مراحل تنازلها عنها.

ولكن.. من حقنا أن نسأل: من أين نفهم تحديد هذه الازمات والمعضلات التي تواجه الامة؟!.

نقول والحق يقال: وضع الحلول العقلانية، والموضوعية، والعلمية، واستخلاص نتائجها، والحل الصحيح الملائم لها بضوء ظروف المجتمع، وتلبية حاجاته ومتطلباته، فكان في تصحيح موقفه من أزماته، ومن حلولها المفروضة عليه.. وتنبيهه بدقة ثورية رسالية مستعلية انه: لم يكن تائهاً أبداً، بل هو إنسان له حلولاً هامةً وحيوية صائبة وملحة لأزماته، لا تتعارض مع قيمه، وتصوراته، وتعاليمه، ومبادئه.. بل أعظم من هذا كله انها تلتحم التحاماً عضوياً حركياً مع هذه العناصر بطريقة علمية جدلية.. وتنبيهه بدقة ثورية رسالية مستعلية كذلك ان حياته.. حياة عظيمة، لانها منوطة بوظيفة ضخمة ذات علاقة عضوية حركية جدلية.. بهذا الوجود العظيم، وذات أثر في حياة هذا الوجود العظيم، وهي أعز وأنفس من أن يقضيها في عبث، وتيه، وهروب، وتشاؤم، ولهو، ولعب.. وكثير من اهتمامات المجتمعات في أصقاع الارض.. يبدو عبثاً، وتيهاً، وهروباً، وتشاؤماً ولهواً.. حين يقاس إلى اهتمامات الإنسان المسلم الناشئة من تصوره لتلك الوظيفة الضخمة المرتبطة بحقيقة هذا الوجود.

طبيعي.. فالانسان هنا لا يملك أن يكون تائهاً تتلاقفه الواجهات السياسية، والاحزاب اللا إسلامية، بل هوفي واقع الحقيقة كإنسان يدرك ويعي بحق، من أين يلملم شتات نفسه، ويستجمع أعصابه، ولا يرتبط بهذا الواقع لينصهر فيه، أويستسلم اليه، بل يحاول أن ينفصل عنه، ويحرر ذاته من مؤثراته، ليستطيع الحكم عليه أوله، ومن الطبيعي حينئذ أن يقرر مستقبله المحتوم لمواجهة الرحلة العسيرة، وملاقاة الاهوال والاعباء الصعاب، والتصدي لها بالجهد المستديم، والمراس العسير، ويروض نفسه على التجرد من هذه الازمة الشاذة الخطيرة.. الخطيرة بفعل العوامل الطاغوتية المعقدة المتشابكة في كيان ذاته، وفي الوجود من حوله العوالم والاشياء التي يتعامل معها.. ثم ها هي قائمة على الطريق بأشكال جديدة، وبمسميات جديدة، وتزداد كل يوم دقة ومشقة.

اذن.. حري به ان يكافح بشجاعة فائقة من أجل تقرير هذا المصير، ويربط هذا المصير المرتقب بأوتاد تشده إلى العروة التي لا تنفصم، والى القلب الندى بالايمان المتصل بالرحمن.. فلا يتشائم، ولا يقنط، ولا يهلع، ويحسب انه هلك، أوأنه لم يعد يصلح لشيء عظيم أبداً، ولا يتيه مهما أحاطت به الشدائد، ومهما أدلهمت حوله الخطوب، ومهما غام الجووتلبد، وغاب وجه الامل في ظلال الحاضر.. فان سنة الله ماضية لا تتبدل، ولا تنحرف عن طريقها الواحد المستقيم، وكما ان الفلاح للمؤمنين الصادقين طرف من الناموس الكبير.

ومن هنا... إذا اكتسب المسلم هذه القوة، والمنعة، والوعي.. أصلح موقف مسيرته من معضلاته التي يعانيها، وأتى نظره صافياً مصوباً إلى الواقع، كاشفاً عن عنوانه الخاص، وطريقه الخاص، وسبيله الذي يفترق تماماً عن سبيل قوى الثورة الجاهلية المضادة، ولا يبلغ أعداؤه منه شيئاً، وهو ممسك بعروة الايمان، سائر على نهجه، مرتكن إلى ركنه، حامل رايته، ممثل لحزبه، منتسب اليه، معتز بهذا النسب وحده.. وطريق انتزاع هذه المسؤولية التاريخية، اظهار حقيقة الشريعة الاسلامية الثاقبة وأبعادها الرسالية العظيمة التي بقيت زمناً ليس بالقصير غفلة الإنسان المسلم بها، وعزوفه عنها، وعدم كشف مدى ما تملك هذه الشريعة من قدرة حركية رسالية على حل الازمات والمعضلات الحياتية الكبرى.. وبالتالي لا يعد المسلم إنساناً تائهاً يحس بالوحدة والوحشة، ويتحسس القنوط واليأس.. وانما يثير من لدنه بعد ذلك الادراك بوجود شخصيته الاسلامية المستقلة، وبالصلة التي تربطه مع مواكبة الحياة الحرة الكريمة، وبالبواعث التي تدفعه صوب المشاركة الفعلية في صنعها على مسار هذا الدين في منهجه التربوي، وقانونه التشريعي، ومفاهيمه عن الكون، والحياة، والمجتمع، والتأريخ.. ويتيسر من لدنه بعد ذلك الغضب، والغيرة، والانتفاض الحركي التأريخي الصارخ على كسر حلقة الباطل الذي ساقه إلى هذا المنحدر السحيق، والذي يخيل له في بعض الاحيان ان سنة الحياة تعاكس هذا الحق الذي طرحه الله سبحانه، وذلك في المراحل التي يظهر فيها الباطل منتفشاً كأنه غالب، ويظهر فيها الحق كأنه مغلوب!.. وان هي الا مرحلة زمنية عارضة، يمده الله فيها ما يشاء للفتنة والامتحان، ثم تجري السنة التاريخية الازلية التي نهض عليها وجود السماوات والارضين، ونهضت عليها المباديء والمذاهب والرسالات على حد سواء.

ولا نقصد بذلك ان يعرف منجزات الامة وغضبها البطولي في فجر الإسلام خالية من عواملها، فأن ذلك لا يرجع عليه من دون الصدى الواسع الذي يحمله على الغفوة، وانما نقصد بهذا ان يعرف بعمق هذه المنعطفات والنجزات الرسالية التأريخية الخالدة المتوازنة الحيوية السعيدة.. يعرف بعمق ان شريعة القرآن الشاملة الكاملة المفضلة الجوانب المحتوية على كل الاجوبة والمسائل والحلول والآمال لقضية الحياة الكبرى في هذه الارض الطيبة الطاهرة التي صيغت للامة في صدر الإسلام وجوداً فذاً وحياة حرة كريمة على طول التأريخ لا تزال متمكنة بكل قوة وتصميم وإرادة على أن تصوغ للانسان المسلم المعاصر.. هذا الوجود النموذجي، والاشعاع

الثوري، والانعطاف التاريخي الاوحد، بحس رسالي جديد، واسلوب انقلابي جديد.. يجب أن يحياها ممارسة فعلية في واقعه المعيش، ولا يفكر فيها كقيمة نظرية، وترف عقلي، واحساس داخلي مجرد.. فقد نشأت الام الإنسان ومآسيه وهمومه حين بات ينظر في شريعة القرآن تراثاً فكرياً من غير أن يعايشا داخل نفسه، وفي واقع مسيرته بين النظرية والتطبيق، وبين الاصالة والتجديد، وبين الماضي والمستقبل، وبين الارض والسماء..

انحرافات رهيبة

جاء الإسلام لينشيء أمة حية، وينظم مجتمعاً كاملاً، ويرسم منهجاً ناصعاً للحياة كلها.. في صورتها المستقرة في الضمير، وصورتها الممثلة في الواقع.

جاء كدعوة عالمية مفتوحة للامم كافة، وللاجيال كافة.. وليست دعوة مقيدة على قومية، أو عشيرة، أو طائفة، أو طبقة.. وانما الإسلام وحده هو: الحكومة المطلقة على قيادة البشر كل البشر.

اذن.. فليمض الوجود الاسلامي مرة ثانية في طريقه، ولتمض دعوة فقهاء الإسلام العدول في طريقها، وليمض دعاة فصائل الاسلاميين الاحرار إلى الدعوة في سبيل تحقيق أحكام الله.. فيرسموا قواعد الحكومة الاسلامية، ويصونوا مبادئها ووسائلها ومساراتها.. حتى يكون الاسلاميون الرساليون قادرين على أن ينهضوا بأداء الامانة الاسلامية في قوة وعزم وإرادة، لا ضعف، ولا تهاون، ولا تراجع.. عن تنفيذ تكاليف الايديولوجية الاممية الاسلامية المعمقة على اساس النظرة الانقلابية الثورية المتجددة.. مهما كانت المرحلة طويلة وشاقة وحافلة بالاخطار والعقبات والمطبات المتناثرة من هنا ومن هناك.

ان قيام الحكومة الاسلامية ضرورة ملحة، وحاجة ماسة للامة كافة.. حيث انها توجه القلوب والعقول دائماً وأبداً إلى الاعتزاز بالقيم الاصيلة الباقية، وبالصلة بالله تعالى والرضا به، وتنفيذ أحكامه وقوانينه، بل توقظ المشاعر والاحاسيس الثورية لاستقبالها بانجاز حضاري جديد منفتح، وتتلقى الاصداء والاضواء اليوم وغداً في العالم كله.

ان الايمان بتشكيل الحكومة الثورية الاسلامية نور تشرق به الحياة.. حياة العدل.. والانعتاق.. والمعرفة.. حياة الانس بجوار حكومة الإسلام.. انه استقرار كامل في القلب النابض، واستقامة في الطريق، وثبات على الخطوب، ويقين بحسن العاقبة.

ان حياة البشر لا تصلح الا بمثل هذه الحكومة الثورية حكومة ولاية الفقيه المطلقة التي تصنع الحياة كل الحياة، وفق منهج الله وهدايته.. انها لا تصلح بـ((الحكومات اللاإسلامية)) سواء كانت شيوعية ماركسية.. وسواء كانت اقطاعية رجعية، أم رأسمالية براغماتية.. وسواء كانت ديمقراطية ليبرالية، أم دكتاتورية بيروقراطية.. كلها سواسية ضد الارض والانسان، واستغلال الارض والانسان.

ولهذا نجد من خلال هذه الحكومات اللاإسلامية واللاإنسانية شيوع الانحراف العقائدي بين امة القرآن المجيد المعاصرة.. وأمسى كل واحد من هنا وهناك:

فهذا تبلغ به الهستيرية ان يعاقب الاسلاميين الاحرار من الامة على ممارسة هو مرتكبها!!..

وهذا يعمل ليل نهار.. بارتكاب الجرائم البشعة، ويكررها بقسوة وقوة والحاح، ويكررها بلا شرف ورحمة!!..

وهذا يرتكب الموبقات، ثم يقذف بها الشرفاء، ويطعنهم في كل شيء كذباً وافتراءً!!..

وهذا يدعوا إلى الوجودية التي لا ترتبط بشيء، ولا تستند إلى شيء، ولا تعتقد بشيء، ولا تعترف بكائن الا بنفسها.. أي: في إطار النفع المادي الشخصي لكل عمل، أوفكرة.. بلا عقل، ولا قلب، ولا روح!!..

وهذا يدعو كذلك إلى البراغماتية على الكسب المادي الراكض لكل فكرة، أو فعالية.. فسلخت الإنسان من روحانيته، وحولته إلى إنسان الي بلا قلب، وبلا روح!!..

وهذا يتفلسف خلق الناس ككل للمراوغة والنهب والظلم والقتل والاستغلال!!..

وهذا يدلس على الامة المسلمة بطرق ملتوية ناعمةماكرة ؛ انظروا كيف تعبدون شريعة القرآن، وتطالبون بتشكيل الحكومة الثورية الاسلامية، انتم لازلتم في عالم الحلال والحرام ولا تنظرون الى الغرب، وقد اخترع الاقمار الاصطناعية، والسفن الفضائية، والصواريخ عابرة القارات، والاسلحة النووية، والقنابل الهيدروجينية، والات الرصد، بل وكافة أنواع التكنولوجيا المتجددة والمتصاعدة.

وهذ يتكلم: وما زلنا حتى الان لا نجد أقرب على لسان فقهاء الإسلام.. ودعاة الإسلام من كلمة(حرام) فالسينما والتلفاز والراديو فيه الرقص والغناء (حرام)..والروايات البوليسية المثيرة، والقصص الغرامية الماجنة(حرام).. ودخول النساء إلى الجامعات، والمعاهد العلمية والادبية مع اختلاط الجنسين(حرام).. والمسارح، والكابريهات، وشرب الخمور، ودور البغاء، والفجور(حرام)..

وهذا يقول: ان الدين يطهر ضمير الإنسان فقط.. فلا تتصف بـ((النفاق))، ولا بـ((التضليل)).. واما

الصلاة، والصيام، والحج(خرافة)!!..

وهذا يقذف كل من يدعو إلى الإسلام بالرجعية، أو الجاسوسية!!..

وهذا يبغي: أن يكيف الدين بصبغة العصرنة.. وحجته لهذه المحاولة: ان الإسلام دين الازمنة، وانه مرن لا يأبى الجديد كل جديد!!..

وهذا يتساءل: لماذا يتدخل الفقهاء العدول بالسياسة.. والسياسة ليست لها صلة بالدين!!..

وهذ يتهم: من يعمل لتحقيق الحكومة الثورية الاسلامية.. ويقول: عنه متصل بالاميركان، أو الانجليز، أو بجهة مشبوهة، أو بجهة ارهابية!!..

وهذا يجتهد: ان الإسلام في أحكامه، وفي قوانينه، وفي فلسفته يقيد حركة الإنسان، ويستغل قواه في أجهزة معينة..

وهذا يزعم: بأن الإسلام استنفذ مفاهيمه، وانه حقق المعجزات الرائعة للامة في عصر من عصورها.. فيشكر على ذلك، ثم انتهت مهمته المكلف بها!!..

وهذا يكتب: بأن الإسلام ما قام وانتشر الا بالسيف، وانه دين لا آيديولوجيا له، ولا نزوع إنساني حضاري!!.. وانما هو دين لا يستند على أدلة عقلانية، ولا على أسس علمية، بل يقوم فقط على اشهار السيف بالعنف على كل من لا يعتنقه.

وهذ يتفلسف: ان سبيل معرفة الله تعالى.. لا تحصل الا بالحس وحده!!..

وهذا ينفي: ان جسم الإنسان بعد الموت بمرور الزمن لا يبقى له لحم، ولا عظم، ويزعم الرجعيون: انه يعود مرة ثانية!!.. ان هذه الفلسفة الخاوية ليست لها حقيقة، ومن أعجب العجائب، ومن سمع أو رأى انساناً ميتاً خلق من جديد وعاد إلى الدنيا بعد أن أكلته الديدان.. أليس هؤلاء الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر.. جهلاء تقليديون غيبيون؟!!..

وهذ يناقش: ان مسألة الاخرة، تعرقل، بل تحارب القضايا التقدمية في البلاد، لأن الامة تؤمن أيماناً مطلقاً بنعيم الاخرة أكثر بكثير من ايمانها بسعادة الدنيا.. ولا فرق في منظورهم أن يعيش الانسان في هذه الدنيا في أحسن حال، أوفي أسوأ حال.. ومن أجل ذلك نشاهدهم يفتحون المجال الواسع للجواسيس المحليين، أو العالميين، أو الطواغيت السياسيين، أو الاقتصاديين بالسيطرة على أجهزة الدولة، ونهب خيراتها!!..

وهذا ينكر ظهور الحجة المهدي(عليه السلام) صاحب الامر العظيم في آخر الزمان.. ويزعم أنها أحاديث أوهام حافلة بالخرافة على أية حال!!..

وهذا يوجه العتاب الهادىء: لماذا.. والف لماذا؟!.. لا نجد فقهاء الإسلام بالذات.. ينزلون إلى مستوى القاعدة مع كافة القطاعات الشعبية من مستضعفين ومحرومين، وانما نشاهدهم في القصور الشامخة، والحياة المترفة، بل يفتحون أبوابهم على مصراعيها للمترفين والمتكاثرين والاقتصاديين، ومطوقين بحلقة من الرجال الذين هم مسوقون لإشباع بطونهم وكفى!!..

كل هذه الانحرافات والاضطرابات في القيم والموازين في دنيا الإسلام من صنع هذه الحكومات الطاغوتية الطاغية.

ومن هذا المنطلق حطموا الكبرياء الزائفة، والترف التكاثري الذي يعيش به الطغاة الرجعيون الخونة على أكتاف هذا الشعب الاسلامي المنكوب، واعلموا ان الطواغيت لا يتحرجون من ارتكاب أشد الجرائم وحشية، وأشنعها بربرية، وأبعدها من كل الاعراف الانسانية.

والاستكبار الاميريكي(بدولاراته، وطائراته، وصواريخه، ودباباته، وجيوشه، وشبكاته، الجاسوسية المترامية الاطراف) من ورائهم يستأصل دعاة الحركة الاسلامية، ويذلهم بالتعذيب، والقتل، والتهديد، والتشريد، والتجويع تارة.. والشبهات والشكوك، والتشهير، والتسقيط تارة أخرى.. إن حضارة الايدز، والمخدرات، وإحتكار العولمة الرأسمالية المتوحشة بقيادة أميركا يحكمها اللواطون والقوادون والمنحرفون ومنتجوا الافلام البوليسية المرعبة، والممارسات الفرويدية الجنسية البهيمية المخزية.

ولكن في الحقيقة.. ان هؤلاء الطواغيت قد غفلوا او تغافلوا عن قدرة الله، وانه بالمرصاد، وهو مقلب القلوب، وما ذلك الا لطول ما طغوا وبغوا حيث انهم يملكون الاموال والجند والسلاح والقوة القاهرة يساندهم في ذلك العملاء المحليون الذين يلهثون ورائهم ويخادعون شعوبهم بأسم الواقعية السياسية والتوفيقية. استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله العظيم.

أجل..

فأين جبابرة قريش...؟!..

وأين أتباع كسرى وقيصر...؟!..

الذين مارسوا التهديد بالعذاب الغليظ ضد الحكومة الثورية الاسلامية العالمية بقيادة الرسول

الاعظم(ص)..

أين تلك القوى الطاغوتية الباغية...؟!..

كان الإسلام القائد الذي نهض بمسيرة الحق، والايمان، وتجسد في المشاعر، والاحاسيس.. أخذ طريقه مع الدعاة الاسلاميين الاحرار في صورته الواقعية للقضاء على كبرياء الجبابرة في الارض، ودك بها المعاقل والحصون.. عندما قامت له حكومة ثورية رسالية انسانية حضارية في شبه الجزيرة العربية.. نعم.. قوة آيديولوجيا الإسلام القائد وحدها هي القوة الضاربة، وولاية الحكومة الثورية الاسلامية هي الولاية العامة على قيادة البشر كل البشر.. وما عداها فهي هزيلة خاوية، مهما ملكوا من الثراء، والدهاء.. ومهما ملكوا من وسائل الطغيان والارهاب.

ونحن نقف خاشعين أمام حقيقة هذه السنة الثابتة التأريخية الماضية إلى ان تقوم الساعة، ولا ننساها لحظة واحدة، وامتنا الاسلامية المعاصرة تواجه القوى الارضية الطاغوتية المختلفة السائدة.

فهذه تضربهم الضربات القاصمة، وتحاول بكل الوسائل الجهنمية سحقهم نهائياً!!..

وهذه تحاول أن تحتل المناطق (الستراتيجية) وتجعلها قواعد عسكرية عدوانية تهدد بها أمن شعوبها!!..

وهذه تحاول أن تساوم بهم في الاسواق العالمية، والمزايدات السوقية.. وبأجمعها خاسرة بأذن الله بحساب مبادئ الإسلام القائد.. وفي حساب دعاة الإسلام الخالد.. حين تحقيق العدل الالهي في الساحة العالمية..

وهذه حقيقة السنة التأريخية..

ان تشكيل الحكومة الثورية الاسلامية تحطم مصالح الطاغوت السياسي، والاقتصادي، والفكري.. وتكمن أزكى ضرورات الحياة البشرية، والضمان الاجتماعي الذي تمنحه سيادة الحكومة الاسلامية يشمل: الفرد، والامة، والدولة.. حقاً ان هؤلاء الثلاثة لا يدركون واقعية الخير والصلاح، الا تحت مظلة الحكومة الاسلامية.

من الطبيعي.. عندما نقف أمام هذه السنة التأريخية الجارية الثابتة سوف تطمئن اليها قلوبنا، وتستقر لها ضمائرنا.. لأنها وعد من الله تعالى، ومن الرسول محمد(ص)، فلا بد أن ترجع البشرية كلها يوماً إلى الإسلام.. إلى المقياس الحقيقي، والمؤشر النهائي.

ومن الطبيعي ايضاً ان ولاية الحكومة الثورية الاسلامية أمانة.. تلك الامانة الكبرى.. أمانة الله في الارض.. وأمانة الله في ضمير شخصية الإنسان المسلم.. لا يستلمها الا الذين هم أهل لها وهم((الفقهاء العدول)) لأن فيهم قدرة فكرية هائلة، وفي مشاعرهم، وقلوبهم تفرغ واخلاص لها، وأمانة كريمة.. هي ثابتة من الله جل وعلا،

وهي ثقيلة تحتاج إلى طراز خاص من امة القرآن المجيدة يتحملون الابتلاء تلوالابتلاء.. كما تحملها الرسول الاعظم محمد(ص) من قبل، وأهل بيته(ع) من بعده.. وأمانة ذات مسؤولية ثقيلة وخطيرة، وكفاح يحتاج إلى صبر وعناء.. وجهاد يحتاج إلى حسابات ومؤشرات دقيقة، وجهد يحتاج إلى احتمال يهز الضمير والوجدان هزاً، ووقفة لدفع تكاليف العقيدة والايمان وقفة جدَ صارم.

ان استئناف الحياة الاسلامية، والحكومية الرسالية الالهية.. هي الفكرة الصلدة في كيان الداعية الاسلامية، أينما وجد في الكرة الارضية كلها، لو اضطربت الدنيا حوله.. فهو ثابت على هذه الفكرة، لو توالت الاحداث والقضايا.. فهو ثابت بالفكرة الاسلامية الراسخة التي لا تتزعزع.. ولا تزول..

هذه عظمة الاطروحة الاسلامية في كيان الداعية الرسالية..

فالمفروض على امة القرآن المجيدة عندما تتحقق الحكومة الثورية الاسلامية ـ وبخاصة في عراقنا المنكوب المغتصب من قبل الطاغوت ـ أن تستوي عليها مطمئنة بها، مدافعة عنها، ولا تنتظر عليها جزاء.. فهي في ذاتها جزاء.. لأنها الحمى الذي تلجأ اليها، والسند الثوري الحضاري الذي تستند عليها..

والمفروض على امة القرآن المجيدة أن تقتدي بالأوائل الذين آمنوا بـ((العمل الحركي الرسالي الخالد))، واستعدوا لاحتمال التعذيب، والاضطهاد، والتشريد، والتجويع، وهم مرفوعو الرؤوس.. يجهرون بكلمة الاسلام العليا في وجه الطغاة الجبابرة دون تلجلج، ودون تحرج، ودون((تقية)) بل واجهوا الموت الاحمر..

وهذا الاعتقاد الثوري الخالد من لدن الثوري الرسالي ثابت لا تزعزعه الاعاصير، ولا تعصف به الرياح الصفراء الباطلة، ولا تقوى عليه المعاول الطاغية الطاغوتية..

وهو أصيل أصالة ذلك الحق الذي خلقت به السماوات والارضين.. والله أكبر.. وجهاد حتى النصر.

سنة تأريخية حتمية

نود في هذا الحديث أن نلفت الانتباه إلى العوامل الاساسية لسقوط جملة من الدول والتجارب والحضارات في القرون السالفة.

ان سياق ومدلول الايات القرآنية في سقوط الدول والتجارب في العصور الغابرة كانت بإطار العموم

والشمول، ومورد صدور الايات لا يكون مستهدفاً التخصيص على المورد.. وذلك بدليل الروايات المتظافرة والمستفيضة، والتي تسمى بـ((اخبار الجري والانطباق)) والقائلة من أن القرآن كتاب الله الاخير المحفوظ لا يختص بمورد دون مورد، ولا يطرح تفاصيل وجزئيات، وانما طرح أسساً ومبادئ وقواعد عريضة شاملة على الصعد الحياتية كافة إلى أن تقوم الساعة الكبرى.

ولنا الان أن نستعرض عليك شذرات من النصوص القرآنية لتوقفك على مصارع الغابرين..

((وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ(٥٨) وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ)) القصص ٥٨ / ٥٩

((وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَو تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ)) الرعد: ٣١

((بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ)) الانبياء:٤٤

((وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ)) الرعد: ١٣

((قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ)) النمل:٢٦

((وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ)) الاعراف: ١٣٠

((فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ)) الاعراف: ١٣٣

((فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ)) الاعراف: ٦٤

((فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ)) الاعراف:٦٢

((فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ)) الاعراف:٧٨

((فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ

أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ)) فصلت:١٨/١٦

((وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمَ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)) العنكبوت:٣٧

ومن هنا نبدأ.. لنلاحظ هذه النصوص القرآنية بجملتها.. ونلاحظ محتوياتها على وجه الايجاز.. ونلاحظ ايحاءاتها باللمسة الوجدانية، والتأمل الموحي كذلك:

١- قوم عاد:

عندما التحم مصير عاد بالصخور الجبلية، وشيدوا منها البنايات الضخمة، همست اليهم أنفسهم ان كل شيء على ما يرام من نعمة، وسعادة، ورفاهية كاملة.. وانهم في ضمان اجتماعي، واقتصادي وثيق.. ومن حضارة فريدة رائعة، تجمع شملهم، وتضمن لهم مستقبلهم الابدي.. وكان جزاؤهم أن يعانقوا مصائرهم التي صاغوها بأنفسهم، وهي من الصخور نفسها.. إذ انقلبت بين عشية وضحاها أسباب كبريائهم، ووسائل حضارتهم إلى حاصب من السماء.. الا وهو الريح الصرصر التي تتطاير معها حصباء الارض.. فتضربهم وتقتلهم من كل جهة..

فإذا كل شيء ذاهب!!..

وإذا كل حصن واهن!!..

وإذا كل وقاية ضائعة!!..

وإذا كل مصنع يطوى!!..

واذا الصمت يخيم، والموت يجثم!!..

وإذا الجثث، والاشلاء، والبلى، والدمار.. يعم الارجاء، لا حس، ولا صوت، وما من احد.. الا الواحد الاحد المدبر المهيمن العزيز الجبار القهار الحي الذي لا يموت..

وكم من حضارة بعد زوال قوم عاد، راحت تخطط على هذا المنوال، وتطغى هذا الطغيان، وتبتعد عن عبادة الله الواحد القهار..

وتحسب ان البشر قد غدا في غنى من هذه العبادة.. وهي تنتج من عوامل الزوال والاندثار لغيرها، والصيانة والحماية لكيانها، ما يحسبه صيانة وحماية لها من خصومها.. ثم تسرح وتمرح في طول البلاد وعرضها، فإذا غضب الله ينتقم منها، وعذابه يصب عليها.. من عاليها، ومن أسفلها.. ومن أمامها، ومن ورائها، وليس هذا سوى النتيجة الحتمية التأريخية الأبدية المقررة الثابتة لهذه الحضارة المادية المعاصرة.

٢- قوم ثمود:

وعندما تجسم كبرياء وغطرسة قوم ثمود في عبادة الاصنام والاوثان تقليداً لآبائهم، في إيجاد الاجراءات الامنية الكافية، والمعاقل والخنادق الصلدة، وكأنها حلف وارشو والاطلسي عندما إتكأ على قواعده الصاروخية النووية الضاربة المنتشرة في كل الاراضي والبحار..

ونظراً لهذا كله.. توهموا أنهم حققوا حضارة عمرانية مادية، وانهم على يقين من دينهم، وثقة من أمرهم، وأنهم غدوا بمنأى عن عقاب الله وبأسه، فحينئذ لا تدهور، ولا سقوط على صعيد أبدي.

كانت تلك الغطرسة، والتمادي في الاستهتار، والتعصب لعبادة الاوثان.. شر ما انتقم منهم.. حيث ان الله تبارك وتعالى بعث عليهم صيحة مدوية مفاجئة أسقطت أفئدتهم، وتركتهم مصعوقين.. حيث كانوا في مساكنهم لا يتحركون فغدو فيها جاثمين.. كأن لم يعمروا أبداً هذه الديار، وكأن لم يكن لهم فيها من آثار..

فما كان الله ليظلمهم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون..

وهذه سنة الله التي لا تتخلف.. والتي تحكم الموت، والحياة.. وتحكم الجماعات، والرسالات.. وتحكم الهدى، والضلال.. وتحكم الحساب، والجزاء.

وهكذا.. لم تصدهم ملاجئهم وتحصيناتهم وآلهتهم من سخط الله العلي القدير، الذي جلبوه على أنفسهم بالتفاخر والعتو والانكار والعناد للحق الذي لا يذعنون له، وان قام عليه ألف دليل ودليل.

ومن ثم.. اكتشفوا حقيقة حتمية قاهرة، وبعد أن انتهى كل شي، ان كل الخطط الامنية العريضة، والمعاقل والحصون المتينة، التي يحسبونها القوة القادرة، لن تصلح لهم، ولن تحميهم من الكوارث والاهوال، ولن تمنع الله سبحانه أن يقتلهم في حصون أمنهم التي عجزوا عن الدفاع عنها.

٣- قارون:

وعندما التحم مصير قارون بـ((مصادر الارض الطبيعية)). وحاول بكل ما يستطيع ويملك من حول وقوة.. أن يصارع حتمية السنة التأريخية.. بالاستغراق في المتع العاجلة.. فهولا يعرف:

الا الفساد بلذاته الجامحة، والسعي الدائب لاشباعها.

وإلا الفساد بشحن صدور الضعفاء، والمستضعفين، بالحسد والعداء الدفين..

وإلا الفساد بانفاق المال في غير وجهه، أو إمساكه عن وجهه..

والا الفساد بالمتاع المطلق من عدم مراقبة الله، ومراعاة الاخرة..كل هذا، أو ذاك يتحدى بجبروته وعتوه المصطنع، مسيرة الحق، والعدل، والعطاء، بالتمرد، والانطلاق من كل قيد.

هذا.. ولم يستمع نصح الناصحين من أبناء قومه(المستضعفين منهم، والمحرومين) بالاحسان، والاعتدال، ونكران الذات، وعدم الفساد بالبغي والظلم، والخضوع لمنهج الله الواحد القهار..

وأعرض عن هذا كله.. في استكبار لئيم، وفي بطر ذميم.. وعندئذ كانت النتيجة الحتمية ان تتدخل يد القدرة الالهية، التي تجري وفق الناموس المرسوم بقدر معلوم، لتضع حداً للابتلاء والغطرسة تحطيماً كاملاً.. وفي لمحة خاطفة بطشت به، وابتلعته الارض مع قصره، وأرصدته، وهوى في جذور الارض، التي استكبر فيها وتطاول واستطال فوقها جزاءاً ووفاقاً، وراح هزيلاً عاجزاً لا ينصره قومه، ولا تنفعه القناطير المقنطرة من الذهب، والفضة.

ولن يدوم وجود هذا الطاغوت الاقتصادي المغرور العنيد، ومن مواهبه المزعومة في تبرير عظمته، وتسويغ أبهته، والانتفاخ بماله، والاعتزاز بثرائه، والتعلق بكنوزه، والاحتفال بملكه.. خلا قضية واحدة هي:

العظة، والعبرة لمن ينسى مصدر النعمة وحكمتها، ويفتتنه المال، ويعميه الثراء الفاحش..

والمفروض ان يحس الإنسان المعاصر هذه العظة، فيترك التفاخر، والبذخ، والترف بصورة طاغية طاغوتية، ويتجرد عن استلاب الذهب، والفضة، وعبادة البورصة، ورأس المال، والاستيراد، والسوق السوداء، ويستهين بحياة الارض وما بها من متاع تافه.. لئلا يخسف الله به، وبماله الارض.

صحيح.. ان المال نعمة من الله، ولا يحرم الإنسان المتاع المعتدل بما وهبه الله من مال كسبه من وجوهه الخيرة، وسخره في ترفيه نفسه وعائلته بـ((القصد والاعتدال)) ثم يجعله وسيلة للترفيه عن الفقراء

والمحرومين.. ليس في طلبه أي أصر ما دام ينتزع من أصوله الطاهرة ليوضع في روافده النقية.. وقبل ذلك يفرض عليه مراقبة الله الذي أنعم عليه، ومراعاة الاخرة، وما فيها من حساب، وعقاب، وجزاء.

يقول القرآن الكريم:

((يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُومُبِينٌ)) البقرة: ١٦٨

((كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ)) البقرة: ٦٠

((كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ)) الانعام: ١٤٢

((يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا)) المؤمن: ٣١

((كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى)) طه: ٨١

وقول الإمام الصادق(ع)((فيما رواه عيسى بين موسى)):..

((يا عيسى... المال مال الله، جعله ودائع عند خلقه، وأمرهم أن يأكلوا منه قصداً، ويشربوا منه قصداً، ويعودوا بما سوى ذلك على فقراء المؤمنين، فمن تعدى ذلك كان أكله حراماً، وما شرب منه حراماً، وما ألبسه منه حراماً، وما نكحه منه حراماً، وما ركبوا منه حراماً))[1]

ويقول الإمام الصادق(ع)(فيما رواه أبان بن تغلب):

((المال مال الله، يضعه عند الرجل ودائع، وجوز لهم أن يأكلوا قصداً، ويشربوا قصداً، ويلبسوا قصداً، وينكحوا قصداً، ويركبوا قصداً، ويعودوا بما سوى ذلك على فقراء المؤمنين، ويلموا به شعثهم.. فمن يعمل ذلك كان ما يأكل ويشرب حلالاً، وينكح حلالاً.. وما عدا ذلك كان عليه حراماً.. ثم قال(ع):(ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين) أترى الله ائتمن رجالاً على مال خوله له أن يشتري فرساً بعشرة آلاف درهم، ويجزيه فرس بعشرين درهماً))[2]؟!..

---

(١) المستدرك ٢ / ٤٢٣.

(٢) تفسير العياشي ٢ / ١٣.

٤- فرعون:

وحضارة فرعون الطاغية.. وما خلفته لنا هذه الحضارة حين عبدت نهر النيل، واتخذته إلهاً ونصيراً وملاذاً من دون جناب العزة وباب الكبرياء.. وبادر رهطها يفدون لها أرواح آدمية.. ففي كل سنة كانوا ينتخبون ملكة الجمال، ثم يسقطونها لتغرق في مياه النيل هدية سخية كريمة مباركة له، وابتعاداً من سخطه وبطشه المزعوم!!..

هذه هي حضارة مصر الزراعية القديمة.. هل ساندت فرعون وملأه، ووزيره هامان العقل المفكر، والمخطط لمكائده، والساعد الايمن على ظلمه وطاغوتيته؟!..

لا، وألف لا.. ان سنة الله في الكون الرهيب.. هي التي دمرت فرعون وجيشه الرهيب الذي لا يقهر.. وغدا رب فرعون وقومه.. هو الذي أحبط كيانه الاسطوري.. عندما أغرقهم جميعاً في اليم العذاب الهائل، فلا رجعة إلى الدنيا، ولا توبة في الاخرة.

ان أي حضارة مهما ظل حاكمها يطغى في البلاد، ويكثر فيها الفساد، والارهاب الفكري والسياسي، ويزعم لقومه أنه أخطر ملوك الارض في زمانه، واقدمهم عرشاً، وأثبتهم ملكاً، وأعرقهم حضارة، وأشدهم تعبداً للخلق، واستعلاءً في الارض، وافتخاراً في ملك مصر، وتصرفه فيها كيف يشاء، وجري الانهار النابعة من نهر النيل، تحت قصوره، وتحت جنانه وضياعه، يتعزز مصيره ومستقبله بـ((الماء)).. وبالتالي ينتهي حتماً مصيره ومستقبله بـ((الماء)) ؛ وهذا مما لا مماحكة فيه حين قال:((هَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي)) ان من تعزز بشيء من دون الله أهلكه الله به لا محال.

إن كل أداة حضارية تعبد من دون الايمان، والعبادة، والتقوى، والصلة الحقيقية بالله سبحانه.. تنعكس النتيجة ضد الإنسان، وتحطمه بأنواع العذاب: كالخسف.. والمسخ.. والصاعقة.. والطوفان.. والحشرات.. والاوبئة.. والمجاعة.. والخوف.. والرعب.. والاضطراب الكبير.. والمطر العنيف.. والسيل الجارف.. والريح العاتية.. والاماتة الجماعية.

أجل.. فالتجرد التام من المثل والمبادئ الروحية الاخلاقية الوجدانية الواقعية(كما شاهدنا) تدهور وسقوط ليس على المستوى الحضاري وحسب، وانما يمتد إلى كل التجارب السياسية، والتشكيلات الحزبية، والاجتماعية، والانظمة المحلية، أو العالمية.

وهذه هي الحقيقة الواقعة.. فتصاعد الصراعات العنصرية، وهيمنة النزاعات القطرية والمحورية، والاندراج في خطط السياسات الدولية التي يحكمها منطق الدول الكبرى، والاعتماد المطلق على الاشياء المادية الفانية، والمصالح الزائلة كالنفط.. والذرة.. والالة.. والانتاج.. والتنمية.. والغذاء.. بدلاً عن اليقظة، والحساسية،

والتقوى، ومراقبة النفس، والعظة بتجارب الإنسان، ورؤية محركات التأريخ البشري، وإدامة الاتصال بالله، والتمسك بشريعته، وتطبيق أحكامه، وعدم الاعتزاز بطراءة العيش، ورخاء الحياة.. تؤدي بالانسان إلى:

تفشي الامراض العصبية.. والشذوذ، والجنون.. أو تزايد الازمات الاقتصادية الحادة.. أو توقف كل إنجاز، وأبداع، ونشاط فعال.. وكل هذه عوامل أساسية في إجهاض الحضارة الحديثة المضلة الحائرة..

اذن.. حياة الجماعة البشرية المعاصرة مصيرها مرتبط بالايمان، والعبادة، والتقوى، والعمل الصالح، وتحقيق المبادئ الكبرى.. وعندما يهربون من هذه الاسس الرئيسية فأن الحد الادنى مما يصيبهم من عواقب وخيمة هو:

معاناة العقاب.. والشقوة.. والقلق.. والحيرة، ويأكل بعضها بعضاً، ويأكل الفرد منها نفسه وأعصابه، ويطاردها وتطارده بالاشباح المطلقة، وبالخواء القاتل الذي يحاول اللادينيين أن يملؤه تارة بـ((المسكرات)) وتارة بـ((الحركات الحائرة)) التي يخيل اليك معها انهم هاربون تطاردهم الاشباح.. وان الاخطر هو:

كاسحة تشمل الارض كل الارض وتتركها هباءً منثوراًمنبثاً يحدد ساعتها الحتمية الفاصلة كأجل لا مفر من نزوله.. يحددها الله.. القوة المطلقة المهيمنة على كل ما في السماوات والارضين.. كل ذلك عندما تستوعب الوسائل المادية الجوفاء أصقاع الارض كلها.. فحينئذ يأمر الله سبحانه وتعالى للحرب الكونية الثالثة أن تؤدي مهامها.. وتنتهي في لحظات خاطفة كل شيء يدب في أصقاع الارض، ما فيها من إنسان، وما فيها من حيوان، وما فيها من نبات.. سواسية في لعبة الدمار والبوار الشاملة، ولم يبق منها الا الدرس والعظة لاولي الالباب.

اذن.. ان ما سيحدث في مستقبل حضارة مادية.. مجردة بالكلية عن عالم الايمان والمبادئ الكبرى هو مستقبل: عاد.. وثمود.. وقارون.. وفرعون.. وهامان.. كما تنذر النتائج الوخيمة للمدينة المعاصرة.. تظن انها تحكمت في كل شيء، وأصبحت قادرة على كل شيء، ولذا تراها تنفق في يسر، وتتلذذ في يسر، وتلهوفي يسر، وتبطش كذلك في استهتار، وتقترف كل كبيرة تقشعر لها الابدان، ويرتعش لها الوجدان في يسر وأطمئنان.. وهي لا تتقي غضب الله، ولا سخط المستضعفين، وتحسب ان أجلها ممدود، وان ليس وراءها حسيب ولا رقيب.. وحتى تنسى ان هنالك الذرة النووية النيوترونية هي المرتقبة للترشيح لابادة وجودها حين تتحرك الاسلحة((الستراتيجية)) من الارض والبحر والجومعاً.. أسرع من الضوء في لحظة طائشة من ليلة دامسة، وظلمة شاملة، وصمت مخيم.. فتزيل بناء الحضارة الاستكبارية الرأسمالية منها، والماركسية، ودول العالم الثالث –كذلك– سواء بسواء.. بلا حياء، ولا تحرج، بلا مبالاة، ولا شفقة آدمية..

أجل.. ان الجماعة البشرية في نهاية المطاف على شفا حفرة من السقوط الحتمي في هذه الازمنة،

كمستقبل الامم والاقوام والشعوب، السالفة، لاتهم يتساقطون وبسرعة مذهلة إلى ذلك الهوان الذي وقعت به الامم والاقوام والشعوب الذين ضلوا في متاهة الامل والغرور يلوح لهم ويشغلهم بالاطماع.. حتى تجاوزوا المنطقة المأمونة.. حتى غفلوا عن الله، وعن القدر، وعن الاجل.. حتى نسوا ان هناك واجباً، وان هناك حراماً، وان هناك موتاً، وان هناك نشوراً.. وكانت نهاية حضارتهم ان دمرهم الله بمعاصيهم، وأبادهم بنفس أدواتهم الحضارية التي يمتلكونها، وفق المفاهيم القرآنية القائلة:

((وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا، وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا)) الاسراء: ١٦ / ١٧

((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ)) الانعام: ١٢٣

((وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)) الانعام ١٢٩

((وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا، رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا)) الاحزاب: ٦٧ / ٨٦

((فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُورَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ)) الانعام:١٤٧

((وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ، وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ)) سبأ: ٣٤/٣٥

((فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ)) النمل:٣٤

((قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوأَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ)) القصص:٧٨

وفي مقابل هذه القوة التكوينية القاهرة هوالعودة إلى الايمان، والتقوى، والعمل الصالح، وهو: الاعمق، والاشمل، والملاذ الحصين الامين، والولي القوي المتين.. الذي لا يقدم فردوس الحياة الدنيا(ولا العكس) ؛ انما يقدمها معاً في طريق واحد، وبجهد واحد، وبرباط واحد.. صلاح الحياة في هذه الارض.. ومن ثم يكون المسار إلى الاخرة فالدنيا مزرعة الاخرة، وعمارة جنة هذه الارض وسيادتها، وسيلة إلى عمارة جنة الاخرة، والخلود الازلي فيها، بشرط أن يستلم زمام القيادة السياسية الانسانية الحضارية رجال يؤمنون بشريعة الإسلام الاممية، ويشعرون بمسؤوليتهم التأريخية، ويعانون يقظة ضمائرهم.. ويسابقون الزمن في عطائهم الحركي، لأن

مميزات حضارة الشريعة الاسلامية انها لا تنساق بمسار لا ينتهي على الاغلب إلى الدمار الشامل، لانها تلتحم بالقيم والمبادئ والتعاليم الكبرى –التي لا تتجبر، ولا تتكبر، ولا تطغى، ولا تتبطر، ولا تتخذ من الفتوح وسيلة للمغنم المادي، واستغلال الافراد والجماعات والبلاد، ولا تعامل الافراد والجماعات والبلاد المفتوحة معاملة الرقيق، ولا تسخر أهلها في أغراضها وأطماعها.. انما تنشر العدل الاجتماعي في كل مكان تحل به، وتساعد المتخلفين، وتدرأ عنهم العدوان دون مقابل، وتستخدم القوة التي يسرها الله في البناء والاصلاح، ودفع العدوان، واحقاق الحق– بدل الالتحام بالاشياء والارباب المتألهين الذين يزاولون خصائص الالوهية بتعبيد البشر لشريعتهم وأمرهم الطاغوتي.

في نهاية المطاف

ان معالم الشريعة الاسلامية فريدة في نموذجها بين الدعوات السماوية، والمذاهب الارضية.. هي: حركة رسالية على الحجم الاوسع والاشمل.. حجم العقيدة والشريعة، التي وقفت موقفاً غير رافض من كيان الإنسان، ومن الحدث التأريخي، واعترفت للانسان بـ((الانعتاق الداخلي))، الذي يغدوبه القوة القوية المتوازنة في قيادة حركة التأريخ من أجل معركة الحياة كحقيقة لا تنكر بأي حال من الاحوال..

وعندئذ يكون أكثر فعالية ثورية مسلحة بـ((الوعي الحركي)) لا يكل ابداً، ولا يمل، في التعبير عن الاوضاع والتطورات الزمنية الجديدة، وفق كل الاساليب النبيلة الممكنة بـ((هذا الانعتاق)) ينبثق عن دوره كخليفة، ومكانته كسيد للعالمين عن سائر خلق الله سبحانه.

فللعقيدة الاسلامية اذن تأريخ.. يشكل في مسيرته نقطة إنعطاف كبير في الكون والحياة والانسان على طريق الصراع إلى أبعد الاماد طولاً وعرضاً بـ((المسارين العمودي والافقي))، الا انه يجب ان لا نغفل لحظة واحدة؟.

وتبقى كلمة الإسلام القائد للانسان المؤمن في هذا العالم الخارجي تحدياً روحياً اخلاقياً وجدانياً.. عليه ان يواجهه امتثالاً لبيان الله الصارم:

((يَا بَنِي آَدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ))

محوراً عريضاً يدور عليه فلك الصراع، والنشاط، والتقدم، والصعود إلى القمة.. أو النكوص، أو الهبوط إلى

الاسفل.. ورغم ان الله سبحانه وتعالى وهب الناس قدرات الروح والعقل والحكمة والمنطق والإرادة، والحركة.. فأن الوحي الالهي ظل يمده بين فترة وأخرى بشرائع السماء الخالدة، ومسارها السوي الذي يحيل حركة الإنسان في العالم إلى حركة متقدمة بلا هوادة لاستنقاذ فطرته من الركام، واستنقاذ عقله من الانحراف، واستنقاذ بصائره وحواسه من الانطماس.. وجعل العذاب مرهونا بالتكذيب، والكفر.. بعد البلاغ، والانذار.

قد لا يظهر هذا التفسير القرآني للتاريخ في هذا الواقع مدهشاً بالنسبة إلى جل الجماعات البشرية.

ومن أخطر الوقائع دهشة اذا لمسنا انه لم يكن للدين المسيحي اي تاريخ حركي.. نعم هنالك تاريخ للجماعات المسيحية مما لا محاكمة فيه، بيد انه لم يكن ويستحيل ان يكون للمبادئ والتصورات المسيحية أي تاريخ، فأن دعاتهم جميعاً ومن دون استثناء يواصلون الاستمساك بشجب العوالم الخارجية، ويحاربونها حرباً لا هوادة فيها.. بعكس المفكرين الاسلاميين الاحرار الذين اشتهروا في كل الاحوال، والازمان، والبقاع.. انهم يقفون من تفسير التاريخ وحركته.. موقفاً مركزياً رائعاً في الصميم.. ويعلمون ان لا اصلاح لهم، ولا فلاح.. الا بهذه السنة التاريخية.

وانطلاقا من هذه المسألة الرئيسية انتجت رسالة القرآن إلى اعماق الحياة– التناغم، والانصهار، والممارسة في بودقتها تتجاوز الكسل إلى النشاط.. والخمول إلى التمخض.. والجمود إلى الفاعلية– حضارة اسلامية متقدمة من اعمق وادق الحضارات التي اكتشفتها الانسانية.

وقد انجزت، وابتكرت، ونفذت الكثير من المعطيات الحضارية والعلمية التي لم تهمل رافداً من الروافد المتصلة جميعاً.. اتصالاً وثيقاً بخلافة الإنسان على اصقاع الارض، ودوره الحضاري في العالم بوعي وأمانة لم تشهد لها المجتمعات البشرية مثيلاً في تاريخها الطويل، وأعطت نموذجاً رائعاً أو حدياً قوياً عميق التركيز للانسان.. يمكنه في كل وقت من تحقيق السعادة الشمولية التكاملية في فردوس الحياة الاخرة..

لاتزال البشرية تناضل وتكافح من اجل الوصول اليه مهما طال امد الاستلاب والاستئثار والطغيان.. ولن تصل إلى هذا المنعطف التاريخي.. الا عن طريق استئناف الحياة الاسلامية الكريمة التي تتميز بالبقاء والدوام من موقفها الوسطي الشامل الذي يتميز عن سائر المواقف النسبية المتأرجحة.

اننا في واقع الحال نعتبر ان الإنسان الذي قدمته الضرورة الحتمية في شريعة القرآن الكونية.. هي.. أعظم عطاياه للتاريخ.. ومن اجل ذلك غدت فلسفتنا للتاريخ من لدن امتنا الاسلامية المجيدة مصدراً حضارياً علمياً.. ينتزع منها قيم الاخلاق الفاضلة، ومضمونها الروحي.. كذلك ينتزع المجتمع الاسلامي منها اسباب التسامي، والطموح، والاستقرار.. إلى مستقبل الجماعات البشرية.

فلقد كشفت البشرية لاول مرة في سجل تاريخها الحافل بالانتصارات أو الانتكاسات:

الجماعات الاسلامية المستقيمة المحصنة بأمكاناتها الخلاقة، وقدراتها الفذة، ورؤيتها الواسعة الامآد..تعيش مستريحة النفس، مطمئنة الفؤاد، ثابتة الخطو، تنهض كسيدة على العالمين، وخلفاء الله في الارض في إطمئنان بأنها مصانة على الخلافة.

الجماعات الاسلامية العادلة التي ترفض الفصل، والتقطيع، والتجزئة.. في تقويم الموقف الحيوي، أوالدعوة اليه.

الجماعات الاسلامية الطاهرة العفيفة التي لا ينتشر فيها التبرج، ولا تشيع فيها الفاحشة، ولا يروج فيها الارهاب، ولا ترف فيها الشهوات على الحرمات، ولا تتلفت فيها النظرات على العورات.

الجماعات الاسلامية المتوادة المتحابة المترابطة المتضامنة المتكاملة المتناسقة.

الجماعات الاسلامية التي لا يمزقها التناقض، والصراع، والمفارقة بين قيمها وتعاليمها الكبرى، وبين واقعها التي تعيش فيه.

الجماعات الاسلامية التي تنظر برؤية علمية، أو وجدانية، أوفطرية في السماوات والارضين.. بين عبادة الله تعالى مباشرة دون ان يكون هنالك تحكم طبقي كهنوتي في بنية سلوكها الديني، وبين التوغل في الاعماق، بعناصر الطبيعة واسرارها، وبين تسخير قوانين الرياضيات، والكيمياء، والفيزياء.. لتحقيق نفس المقياس من التطور والارتفاع الحضاري العلمي التقني الانساني.

اذن.. هي ليست صدفة عابرة، وانما هي نتاج الإسلام القائد في ارقى صوره.. ثم بقى ينتجها في صور شتى على توالي الازمنة.

بيد انها بقيت في حصيلتها خير من كل الجماعات البشرية الاخرى، التي انتجتها قوى الثورة الرجعية المضادة قديماً وحديثاً.. وكلها لوثتها هذه القوى بتقاليدها، وتشريعاتها الارضية.

وقد نشأت وتمثلت الحضارة النموذجية الاسلامية التليدة العريقة –عبر الدولة الاسلامية الكبرى التي قطعت القرون الطويلة– لهذه الجماعات الاسلامية التي تصنع تاريخها الحركي الاسلامي بنفسها.

وبكلمة.. علينا ان ندرك انه: كانت الجماعات الاسلامية بشراً لم تتخل عن طبيعة البشر.. بما فيه من قوة وضعف، وان منشأ امتيازها من الغير ما بلغت في بشريتها هذه اعلى قمة مهيأة لبني الإنسان في الاحتفاظ بخصائص البشر في الارض مع الاستمساك بالعروة الوثقى التي تشدها إلى الله، وتمنعها من السقوط، وتجدد

فيها الامل، وتحرسها من القنوط.. باتت بهذه نموذجاً فريداً في تاريخ العصور البشرية التي لم يعرف لها سر.

ليس طرحاً بسيطاً هذا الذي استعرضناه..

فلم توجد آيديولوجيا على الساحة العالمية.. حققت هذه الانعطافة التأريخية المنتصرة بهذا المقدار من التكامل، والدقة، والديمومة، والصيرورة التأريخية.. اللهم الا في فترات سريعة ورد استعراضها في حشد من الايات القرآنية الكريمة.

في جميع أصقاع الارض يعاني البشر نوع البشر، وعلى مر العصور والازمنة.. الصراع والاختناق بين قيمه وتعاليمه الكبرى، وبين آفاق وجوده الذي يعيش فيه.

ولعل خير مثال يمكن أن نبدأ به هو: المجتمع الاوروبي الذي صاغ كيانات حضارية مختلفة كان نهاية مطافها المدنية((التكنولوجية)) المعاصرة.

بيد ان المدنية((التكنولوجية)) هذه لم تكن وليدة المؤسسة الكنيسية (الدينية) الرجعية التي تشجب العوالم الطبيعية والارضية في هذا الكون الرهيب كله، وتشجب تفسير الحركة التأريخية كذلك، وانما هي وليدة انحلال الدين المسيحي.. قفز به المجتمع الاوروبي بضرورة حاجته الملحة، واعتباره كبشر جديد واع بوجوده في هذا الكوكب الارضي الصغير.

ولذلك فالمدينة((التكنولوجية)) التي صاغها الإنسان الاوروبي.. شجب للمسيحية التقليدية القديمة، وتجرد نهائي عن مغزاها.. ومن ثم ولد النزاع في داخل تكوين الإنسان الاوروبي بين قيمه وتعاليمه الكبرى، وبين وجوده الذي بناه على تلاشي هذه القيم والتعاليم.

وليست الماركسية ذات الوصفة الجامدة.. إلا تعبير عن هذه الازمة، وهذا الاختناق، وهذا النزاع.. المليء بالمخاطر الهدامة بما يظهر انه حل للمشكلة.

فالآيدولوجيا الماركسية تمثل مشكلة الروح المسيحية التقليدية الرسمية.. وقد بلغت ذروتها في الاعماق، فعمدت إلى حل هول المشكلة الخانقة عن طريق نسف أصول القيم والتعاليم الكبرى من جميع مظاهر الحياة اليومية للانسان طامحة بصفة رئيسية أن تنسخ المثل الروحية العقيدية الايمانية ذاتها من الإنسان الصالح المستقيم.

وعلى أساس هذه المحاولة نقول: على ضوء الحسابات الدقيقة النهائية ان المثل الروحية الايمانية العقيدية تتحرك ضمن فترة واقعية بعيدة الغور داخل تكوين الإنسان نفسه.. ومن المستحيل الهيمنة عليها، والانفصال

عنها، والتجرد منها إذا لم تتغير القيم والتعاليم ذاتها.. ومن المستحيل ان ينسخ نزاع الكائن الداخلي بين القيم والتعاليم الكبرى، وبين جوهر تركيبة الإنسان الحركية، وذلك لأن طبيعة هذه المثل الروحية غريزة، وتكمن في نفسية تركيبه العضوي بفعالية صلدة لا تزول، وهي: القيم الاساسية للدفع التاريخي ومنجزاته في أعلى الدرج الصاعد الذي يليق بمكانة الجماعة البشرية في الساحة العالمية.

وبهذا تسقط ابتداء كل المفارقات، والتناقضات، والاختناقات.. التى يمكن ان تعلق باي نشاط حركي حضاري تاريخي فاعل.

لايعتمد برنامجا ثوريا شموليا تكامليا.. أولا يسعى إلى هدف جلي متغلغل في سياق الواقعة التاريخية، والكشف عن مسارها الخفي.

ولايلتزم عقلانية الإنسان في حواره الصارم مع الواقع الذي يعيش فيه، وتنظيمه على ضوء التجارب الماضية والحاضرة، من ايجاد أكبر قدر ممكن من التغيير الجذري لخير أكبر تجمع من المجتمع البشري.

عندما ازيلت الشريعة الاسلامية عن قيادة الجماعة البشرية.. فمن الطبيعي ابتعادها عن صياغة حركة التأريخ..

ولم يكن من مهامنا في هذا الحديث.. ان نقيد زمن توقيت اجتياح عناصر تلك الانكسارات –انكسارات الطلاق البائن بين الشريعة الاسلامية.. وبين الوجود الحياتي– وانما من مهامنا الرئيسية ان نقرر مصلحتها وهي:

ان وجود الامة المسلمة المعاصرة.. وجود منفصل كل الانفصال عن شريعة القرآن، لانه لم يكن منتزعاً من الشريعة الانقلابية القائدة في جل روافده ((الستراتيجية)) العليا.

ان مسلم اليوم لا يعتقد بالشريعة الاسلامية!!.. كما كان يعتقد بها الاسلاميون الثوريون الاوائل، وانما يعتقد بها اعتقاداً مجرداً من المؤسسات الاجتماعية العامة، والحركة الفاعلة، والقوة المركزية التي ترجع منطلقاتها إلى قدرة واعية تصبوإلى التعبير عن ذاتها وشخصيتها في صياغة حركة التاريخ.

وقد وقع كل ذلك.. ووقع ما هو أخطر منه وأقذى.. وهو مصيره الفاجع الذي يملأ شرايينه بالتعاسة، والشقاء، والكرب، والحرج، والحيرة –والدنيا الان تزداد تجبراً، وطغياناً، واصراراً، وجحوداً بقوة جارفة إلى غير غاية– وهو غير خليق بحمل مسؤولية الحركة الاسلامية إلى الجماعات البشرية الضالة المضطهدة.

وعلى هذا الأساس.. لقد اثرت إلى حد ما قوى الاستكبار والكفر العالمي المضادة، بما استولت عليه من مراكز فكرية شاملة على الساحة الاسلامية، واخذوا يصورون دين الاسلام القائد الذي يحكم الحياة على انه

حدث تاريخي اكل الدهر عليه وشرب، ولا يمكن في الوقت الحاضر اقامة هذا الحدث، هذا مع الاشادة بأهمية ماضيه، ليخدعوا عواطف الجماهير الساحقة، ثم ليصرحوا لها في اطار هذه الاخدوعة: ان دين الإسلام في هذه الازمنة المفروض أن يعيش في نفسية الإنسان المسلم عقيدةً، وعبادةً.. لا شريعةً ونظاماً ؛ لانه مسألة تشغل الإنسان وحده، ولا يتجاوزه إلى الجماعة البشرية بوصفه لا علاقة جدلية روحية صميمية بـ((الجماعة البشرية)) وبـ((المؤسسات الاجتماعية)).. ولا فحوى لأن تكون للجماعة هموم دينية لأن الدين مسألة ذاتية مجردة!!..

هذا.. والا فان على دين الإسلام أن(يساير الزمن وتطوراته) فيغدو محكوماً لتصورات ومناهج وقوانين من صنع البشر ما أنزل الله بها من سلطان!!..

ان حقيقة هذا الطرح المسموم لمهام الدين ((زاد في الطين بلة)) من انحراف عقلية إنسان الإسلام القائد، وعزوفه عن الشريعة الخاتمة، بل وشجبه لها شجباً وقحاً شرساً.. متلمساً له وجود في فتات آيدولوجيا نابتة في قابع من بقاع الغرب أو الشرق ذات البريق الخادع.

وهذا الطرح الاستكباري السالب في فصل الدين عن المجتمع والدولة، الذي يستخدم فيه جميع الاسلحة بلا تحرج، وجميع الوسائل بلا حساب، والذي يسخر له الاجهزة والتشكيلات الدولية، والذي يكفل من أجله أوضاع ما كانت لتبقى لحظة واحدة لولا هذه الكفالة..

وهذا هو الطرح الظالم الذي سيؤول اليه من خواء، وخراب، وحيرة، وضياع، وبوار لحضارة الإنسان وسعادته وتطوره وتقدمه في كافة قطاعات الابنية الفوقية، ومن عرقلة لدوره العظيم في العالم كخليفة عن الله تعالى، بيد ان المطلوب من فصائل حركة الاسلاميين الاحرار المباركة أن تتحرك بأسرع ما تستطيع، وبأقصى ما تطيق، لئلا تنقلب المراهنات، والحسابات، والتطورات المسومة السالبة الظالمة إلى فتنة هوجاء لا ترحم أحداً على سطح الكرة الارضية، وهي تستمر بلا هوادة تصب حممها فوق رؤوس الجماعة مذنباً أو بريئاً، عاقلاً أو مجنوناً.. على وجه السواء..

ومن هنا.. برز هذا التحرك، والانبعاث، والاشعاع الثوري المعاصر، الذي امتد وانتشر في مساحات شاسعة من رقعة الوطن الاسلامي الكبير.. وما دام يمتد بلا انقطاع ـ افقياً وعمودياً ـ في كل القطاعات الشعبية والشرائح الاجتماعية.. هذا التحرك، والانبعاث، والاشعاع الثوري الحديث للشريعة الاسلامية، ومنطلقاتها المبدئية، ولابعاد ملائمتها لمتطلبات الجماعة البشرية، وتطلعاتها الانية والمستقبلية.

ان احتضار الحضارة الاوروبية الغربية منها والشرقية، وتساقطها في متاهات سافرة على أن تطرح للجماعة

البشرية الاستقرار النفسي إلى جانب الرفاه المعاشي.. وان اهتزاز المؤسسات الفكرية في أن تهيئ للجماعة البشرية الحرية، والعدل، والحق، والعطاء مع المحافظة على الرافد الانساني فيه.

ومن هنا كذلك.. يجعلنا على أن نغدو طموحين ببروز هذا الاشعاع الثوري، وانبعاثه في هيكل طلائع الاسلاميين الاحرار، وهي تعمل وتناضل بقوة وصرامة لتحريك قارات العالم المستضعفة.. كذلك صوب المنطلقات التي خططها القرآن الكريم –كتاب الإسلام الاخير– ومتأكدين بأن نظام القرآن المحفوظ سيقود المجتمعات البشرية مرة ثانية إلى عالم أفضل، وأُفق أعلى، ومصير أمثل.. ويجعلها تنسجم في علاقاتها مع حركة الحياة، والكون، والطبيعة وقوانينها فيشحنها إيجابية، وعطاء، وقوة دافعة فاعلة.. كما يبعث فيها العواطف والاحاسيس الجياشة، ويقظة الضمير، والوجدان، والمسؤولية.. ويدفعها إلى سباق زمني أسرع من الضوء لكسب الموقف الذي تهيىء لها كي تفجر طاقاتها، وتعبر عن قدرتها التي منحها الله إياها على صعيد المثل الايمانية، والعقيدية التي تدين بها المنطلقات الرسالية الثورية التي تروم لبلوغها.. فيما تعتبر مجمل هذه الايديولوجيا عبادة شاملة متكاملة تتقرب بها الحوزة البشرية إلى الله تعالى مع اليقين بأنها لا حول لها ولا قوة، الا بمعونته، ورحمته، وتوفيقاته.. والا كانوا من الخاسرين.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد المصطفى واله الطيبين الطاهرين.

الفهرست

رسالتنا ٥

المقدمة ٧

ازمات خطيرة ١٢

انحرافات رهيبة ٢٠

سنة تاريخية حتمية ٢٥

١ ـ قوم عاد ٢٧

٢ ـ قوم ثمود ٢٨

٣ ـ قارون ٢٩

٤ ـ فرعون ٣١

في نهاية المطاف ٣٤